

أَوْقَاتُ عَصِيْبِ

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

تأليف

شارلز دوكلز

ترجمها الى العربية

ميث سلامه



منتدى سور الأزيكية

www.books4all.net

أَوْقَاتٌ عَصِيْبَةٌ

تأليف

نشارلز دكنز

اختصرتها وبسطتها
فتيولاهجئز

ترجمها الى العربية
أميئ سلا مئ

ملئمة الطبع والنشر

مكئبة الأئجلو المئصرية

١٦٥ شارع محمد فريد . القاهر

HARD TIMES

By
CHARLES DICKENS

Abridged and simplified
By
VIOLA HUGGINS

Translated into Arabic
by
Amin Salama

1993

كلمة المترجم

بكل فخر يسعدنى أن يكون لى شرف ترجمة هذا العمل الجليل القيم الذى كتبه فى يوم من الأيام تشارلز دكنز ، ذلك الروائى الانجليزى الذى ولد عام ١٨١٢م ومات عام ١٨٧٠م ، والذى ذاع صيته حتى أصبح واحدا من أشهر كتاب الرواية فى انجلترا .

وحسب معلوماتى فان تشارلز دكنز لم تبدأ شهرته الأدبية الا بعد أن نشر انطباعاته عن لندن فى كثير من المجلات الدورية . ولقد بدأ فى تأليف رواياته الطويلة عام ١٨٣٨ الذى كتب فيها روايته المشهورة « أوليفر تويست » ثم أعقبها بقصص « دافيد كوبرفيلد » والتي كتبها عام ١٨٥٠ وتلى ذلك كتابته لرواية «أوراق بكويك» التي كتبها فى الفترة بين ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ . ولعل أروع ما جاد به قلم هذا الروائى الممتاز روايته المشهورة « قصة مدينتين » وتدور كلها حول الثورة الفرنسية . وان كنت أفتخر بأننى قرأت كل هذه الروايات بالانجليزية الا أنه يسعدنى أن أفيد القارئ بأن المكتبة العربية تزخر بترجمات رائعة بالعربية لهذه الأعمال الفائقة الجودة والشهرة .

وكما كتب تشارلز دكنز الرواية الطويلة وحاز فيها

قصب السبق الا أنه تعرض للقصة القصيرة وعالجها بكفاءة
نادرة . . .

وأول ما تتميز به روايات دكنز وقصصه ثراؤها الواسع
بالوصف الدقيق للشخصيات وبعرضها الثرى للحياة
الاجتماعية فى مختلف صورها، وبما فيها من نزعة عاطفية،
وانتقاد للشور الاجتماعيه ، مثل السجن من أجل الديون،
ومماطلات القضاء ، وسوء التعليم .

ومن الجدير بالذكر أن كتابات دكنز عجلت بالاصلاح
فى ميادين كثيرة . . .

وتعتبر رواية « الأوقات العصيبة » التى كتبت عام
١٨٥٤ من أشهر وألح ما كتب تشارلز دكنز

أملى أن تلقى هذه الترجمة الأولى لهذا العمل الخارق
الجودة والبالغ المتعة ما تستحقه من ترحيب وتقدير لعلى
بذلك أقدم يد المساعدة للقارىء العربى وجميع طلاب مصر
من الذين يدرسون هذه الرواية . . . ولقد أردت بترجمتها
معاونتهم على فهم المتن الانجليزى حتى تعم الفائدة ويتحقق
المنشود وحتى يقرأها أكبر عدد ممكن من طلاب المعرفة
ومن عاشقى تشارلز دكنز ، ذلك الروائى العظيم على مدى
الأيام والقرون . . .

والله ولى التوفيق

أمين سلامة

١٩٩٣/١/١

أوقات عصيبة

الجزء الأول

الغرس

الباب الأول

الشيء الوحيد المطلوب

« ما أريده هو الحقائق . لا تلقن هؤلاء الأولاد والبنات شيئاً غير الحقائق . ولا نحتاج ، فى الحياة ، الى أى شىء سوى الحقائق . . لا تزرع شيئاً آخر ، واقتلع كل ما عداها . لا يمكنك تكوين عقول الحيوانات العاقلة ، الا بالحقائق . . الحقائق وحدها ، ولا شىء غيرها ، ينفعهم . هذا هو المبدأ الذى أنشئ عليه أطفالى . وهذا هو المبدأ الذى أربى بمقتضاه هؤلاء الأطفال . التزم الحقائق ، يا سيدى ! »

كان المنظر فصلاً دراسياً بسيطاً مجرداً ، واصبع المتكلم الثابتة ، تؤكد ملاحظاته ، ويساعد فى التأكيد حائط جبهة

المتكلم الواضحة ، التي قاعدتها الحواجب ، بينما كانت عيناه فى كهفين مظلّمين تحت ذلك الحائط . كما يساعد على التأكيد ، فم المتكلم ، الواسع والزفيح والثابت . كذلك ساعد فى التأكيد ، صوت المتكلم القوى والجاف والدكتاتورى الأمر . وساعد فى التأكيد ، أيضا ، شعر المتكلم الذى وقف على جانب رأسه كالأشجار . . كما أن سترة المتكلم المناسبة ، وساقيه الثابتتين ، وكتفيه العريضتين ، ساعدت كلها فى التأكيد . وحتى ياقة سترته ، بدت كما لو أنها أمسكته من خناقه ، كحقيقة ثابتة .

ترزح المتكلم ، والمدرّس ، والشخص الثالث الكبير الذى كان حاضرا ، ترزحوا كلهم ، قليلا ، الى الخلف ، وألقوا نظرة الى التخوت المليئة بالأطفال ، تلك الأوعية المرتبة بنظام ، استعدادا لتنال مكاييل من الحقائق ، تصب فيها حتى تملأها الى حافاتها .

الباب الثاني

قتل الأبرياء

اعتاد توماس جرادجرايند Thomas Gradgrind أن يقدم نفسه ، دائما ، بنفس الألفاظ .

« توماس جرادجرايند ، ياسيدى ! رجل الوقائع . رجل الحقائق والحسابات . رجل يسير على مبدأ أن اثنين واثنين ، تكون أربعة ولا أكثر من ذلك . رجل لا يسمح بامكان وجود شيء أكثر . توماس جرادجرايند ، ياسيدى . يضع فى جيبه ، دائما ، مسطرة وكفتى ميزان ، ياسيدى ، مستعدا ليزن ويقيس أى طرد من الطبيعة البشرية ، ويخبرك بماهيته ، بالضبط . إنها مسألة أرقام ، وحالة حساب بسيط . . . يمكنك أن تأمل فى ادخال اعتقاد غير معقول ، فى رأس جورج جرادجرايند ، أو فى رأس چون جرادجرايند . أما فى رأس توماس جرادجرايند ، فلا ، ياسيدى ! » .

ثبت توماس جرادجرايند عينيه بامعان ، على الأطفال الجالسين أمامه ، والذين سيملوهم تماما بالحقائق . . . كان

نوعاً من مدفع ضخم محشو بالحقائق ، متأهباً لاطلاقها
على الأطفال في طلقة واحدة .

قال المستر جرادجرايند : « الفتاة رقم عشرين » .
وهو يشير إليها بالضبط ، بإصبعه الثابتة . « لست أعرف
هذه الفتاة . من هي تلك الفتاة ؟ »

فقالت رقم عشرين : « أنا سيسي جوب Sissy Jupe
ياسيدى » . وأحمر وجهها بشدة عندما وقفت .

فقال المستر جرادجرايند : « سيسي ليس اسماً .
لا تطلقى على نفسك اسم سيسي ، وإنما أطلقى عليها سيسيليا
Cecilia . »

فأجابت الفتاة الصغيرة بصوت مضطرب ، فقالت :
« أبى هو الذى سمانى سيسي ، ياسيدى » .

فقال المستر جرادجرايند : « لا يحق له أن يسميك
هكذا . أخبريه ، يا سيسيليا جوب بأنه لا يحق له أن يسميك
هكذا . ولننظر الآن ، ما مهنة والدك ؟ »

« ان طاب لك أن تعرف ، ياسيدى ، انه يدرج
الخيول للسيرك »

بدا المستر جرادجرايند مستاء ، وأشار بيده معبراً عن
امتعاضه من هذه المهنة البغيضة .

« لا نريد أن نعرف شيئاً عن مسارح السيرك هنا . والآن ،
ياسيسيليا ، بماذا تعرفين الحصان ؟ »

ارتبكت سيسى جوب أعظم ارتباك بهذا الطلب .

فقال المستر جرادجرايند : « لا تستطيع الفتاة رقم
عشرين تعريف الحصان . لا تعرف الفتاة رقم عشرين أية
حقائق عن حيوان من أكثر الحيوانات شيوعاً . هل يستطيع
أحد الأولاد تعريف الحصان ؟ عرفه لنا ، يا بيتزر Bitzer . »

تحركت الاصبع الثابتة ، هنا وهناك ، ثم توقفت
فجأة وهى تشير الى بيتزر . ربما لأن بيتزر تصادف
أن كان يجلس فى نفس مسار شعاع الشمس الساقط على
سيسى . كانت سيسى فى نهاية صف البنات ، فى الجانب
الشمس من تلك الحجرة الواسعة العارية . وبيتزر فى نهاية
صف الأولاد من الجانب الآخر تسقط عليه نهاية شعاع الشمس
. . . واذ كانت سيسى سوداء العينين ، وفاحمة الشعر ، بدت
تنال أحلك لون من ضوء الشمس . بينما كان ذلك الغلام
زاهى العينين ، وزاهى الشعر ، حتى ان نفس الأشعة بدت
تأخذ منه قليلاً من اللون الذى يملكه . كانت عيناه زاهيتين
وباردتين . وبشرته بيضاء تبدو كما لو كانت ستنزف دماً
أبيض ، ان جرحت . ويكاد شعره القصير ، يكون بلون
بشرته .



تحركت الأصبع الثابتة ، هنا وهناك

فقال المستر جرادجرايند : « ماهو تعريفك للحصان ،
يا بيتزر ؟ »

« حيوان من ذوات الأربع ، له أربعون سنا • يفقد
جلده فى الربيع • نعرف عمره بعلامات فى الفم » •

هكذا (وأكثر من هذا) يا بيتزر •

فقال المستر جرادجرايند : « والآن ، يافتاة رقم
عشرين ، هانتذا تعرفين ماهو الحصان » •

قالت : « نعم ، ياسيدى » • وكان لونها ستشتد
حمرته ، ان أمكن ذلك • وجلس بيتزر ثانية •

خطا الشخص الثالث الى الأمام ، وكان رجلا عظيما ،
موظفا حكوميا ، ولديه دائما خطة يرغم الحاضرين على
قبولها ، كما لو كانت دواء يبتلعونه •

قال : « والآن ، افرضوا أنكم ذهبتم لشراء طنفسة
لحجرة ، فهل تشترون طنفسة مزخرفة بأزهار ؟ »

فقال معظم الأولاد : « لا » • ولم يقل « نعم » سوى
القليل ، ومنهم سيسى چوب •

فقال ذلك الرجل : « يافتاة رقم عشرين » • فوقفت ،
وقد احمر لونها بشدة •

قال : « اذا فهل ستضعين طنفسة فى حجرتك أو فى حجرة زوجك ، مزخرفة بالأزهار ؟ لماذا ذلك ؟ »

فأجابت الفتاة تقول : « من فضلك ياسيدى ، أنا مولعة جدا بالأزهار » .

« هل هذا هو السبب فى أن تضعى عليها الموائد والمقاعد ، وتسمحى للناس بأن يمشوا فوقها بأحذية ثقيلة؟ »

« ذلك لا يضر الأزهار ، ياسيدى . ستكون صورا لما هو جميل جدا ، وسار وأتصور . . . » .

فصاح الرجل ، وقد سره تماما ، الوصول سعيدا الى ما يريد . فقال : « يجب ألا تتصورى ينبغي ألا تتصورى » .

فقال توماس جرادجرايند ، بجدية : « ينبغي ألا تفعلى أى شىء من هذا القبيل ياسيسيليا چوب » .

فقال الرجل : « الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة » وكرر توماس جرادجرايند قوله : « الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة » .

ثم قال ذلك الرجل : « يجب أن تسيرى على نظام الحقيقة ، وتحكمك الحقيقة . ينبغي أن تنسى كلمة تصور ،

تمام النسيان • الواقع أنك لا تسيرين فوق أزهار • ولذا ،
لا يسمح لك بالسير فوق أزهار فى الطنافس » •

جلست سيسى ، وكانت صغيرة السن جدا وبدأت كما
لو كانت خائفة من موضوع عالم الحقيقة المائل أمامها •

استدار الموظف الحكومى ، نحو المستر جرادجرايند ،
وقال: «إن جاء المستر م. تشوكامتشايلد M. Choakumchild
الى هنا ، وشرع يلقى أول درس له ، فسأكون سعيدا
لملاحظة طريقته » •

أخذ المدرس ، وهو رجل أسكتلندى ، يدعى م.
تشوكامتشايلد ، أخذ يلقى الدرس ، بأحسن طريقة لديه ••
لقد تخرج ، حديثا هو ومائة وأربعون مدرسا آخرين ، فى
نفس الوقت ، وفى نفس المعهد ، وبنفس المبدأ كأنهم أرجل
معزف متشابهة • درس العديد من الحقائق عن عدة
موضوعات • ولو درس أقل من ذلك • فماذا يمكنه أن يعلم
أكثر من هذا ؟

الباب الثالث

مخرج

سار المستر جرايند عائدا من المدرسة الى بيته وهو يشعر بالرضى التام . فهي مدرسته وقد صمم على أن تكون نموذجية ، ويكون كل أطفالها نموذجيين مثلما كان أولاده ، هو نفسه ، نموذجيين .

كان المستر جرادجرايند يلقي المحاضرات الى أطفاله الصغار ، منذ السنوات الأولى من أعمارهم . وفي أغلب الأحيان بمجرد أن يستطيعوا الجرى وحدهم ، فيجروا الى حجرة المحاضرات ، وينظروا الى سبورة كبيرة عليها علامات بالطباشير الأبيض .

ما من طفل من أولاد جرادجرايند ، نظر الى وجهه فى نور القمر . وما من طفل من أولاده تعلم أناشيد الحضانة السخيفة .

تقاعد المستر جرادجرايند من عمله ، وبنى لنفسه منزلا كبيرا فى الريف ، على مسافة حوالى كيلو متر من

البلدة الصناعية الكبرى كوكتاون Coketown فى شمالى انجلترا . وكان يتحين كل فرصة ليجعل لنفسه اسما فى البرلمان .

أطلق المستر جرادجرايند على بيته اسم « ستون لودج Stone Lodge » ومعناه (المسكن الحجرى) . وكان بيتا ضخما ، مربع الشكل ، به عدة حجرات . جعل لأولاده منها حجرات للمواد الخام ، وحجرة للمعادن . كل شىء مرتب بنظام وعليه بطاقة باسمه .

يسير المستر جرادجرايند نحو داره ، وهو يشعر بالأمل وبالرضى . وكان أبا محبا . ولكنه ربما وصف نفسه بأنه عملى أساسا . ويفخر بأن غيره من الناس ، يعتبرونه رجلا عمليا .

ما ان وصل المستر جرادجرايند الى الجزء الخارجى من تلك البلدة التى لم تكن من الحواضر ، ولا من الأرياف ، حتى سمع صوت موسيقى ، وشاهد فسطاط سيرك متجول ، وأبصر علما يرفرف فى قمة الفسطاط يعلن أنه « معرض سليرى Sleary لركوب الخيل » وأعلنت المصقات أن الأنسة جوزفين سليرى Josephine Sleary ، تعرض ألعابها على ظهور الخيل . كما تمكن رؤية السنيور چوب Jupe وكلابه المدربة ، المعروفة باسم « ميري ليجز Merry Lego » ، ومعناها (الأرجل المرحة) .

بينما كان المستر جرادجرايند يسرع بجانب ذلك المكان الصاخب ، اذ أبصر ، فجأة ، جمعا من الأطفال خارجه ، يحاولون استراق النظر الى داخل الفسطاط . فلم يستحسن ذلك ، واقترب ليرى ما اذا كان يعرف أحدا من أولئك الأطفال . . . ومن أبصره هناك سوى ابنته لويزا Louisa تنظر خلال ثقب فى الحائط ، وابنه توماس راقد على الأرض يحاول مراقبة أقدام الخيول ؟

« يا لويزا ! يا توماس ! »

نهض كلاهما وقد احمر وجه توماس وبدا الخوف والخجل والقلق على محياهما . الا أن لويزا نظرت الى أبيها بجرأة أكثر مما فعل توماس . . . الواقع أن توماس لم ينظر اليه ، ولكنه استسلم لأن يؤخذ الى البيت كما لو كان آلة .

قال المستر جرادجرايند : « ماذا تعملان هنا ؟ »
وأمسك كلا منهما من يده ، وقاده بعيدا .

فقالت لويزا ، باختصار : « أردنا أن نرى ما ذ هناك » .
بدا كل من الطفلين ، متعبا ومستاء ، ولاسيما الفتاة .
ومع ذلك ، كان بوسغك أن ترى فى وجهها تخيلا قلقا .
أشبه بشعاع ضوء لا يجد شيئا يسقط عليه ، أو نار لا تجد ما تحرقه . وبقي هذا التخيل المتلهف ، حيا ، بطريقة ما .

ووضّحت ملامح وجه الفتاة ، ليس بالضوء الطبيعي للشباب
المرح ، وانما بخلجات مرتابة غير متأكدة ، تنم عن وجود
شئ مؤلم فيها .

لويزا فتاة جميلة لا تزيد سنّها على ١٥ أو ١٦ سنة .
ولكن أباهما فكر في أنها ستغدو امرأة فجأة . وستكون أكثر
اصراراً على أن تسير بحسب طريقته الخاصة ، لو لم تنشأ
جيذا على ذلك النحو .

قال الأب : « يا توماس ، انى لأجد صعوبة في أن
أصدق ، أنك ، رغم تعليمك ، قد أحضرت أختك الى
منظر كهذا » .

فقالت لويزا ، بسرعة : « أنا التى طلبت منه أن
يأتى » .

« يؤسفنى أن أسمع هذا ، فهو لا يجعل توماس
أفضل ، ويجعلك أسوأ ، يا لويزا » .

نظرت الفتاة الى أبيها ، مرة ثانية ، ولكن ما من
دمعة نزلت على خدها .

صاح المستر جرادجرايند ، يقول : « أنت ! توماس
وأنت ، يا من دائرة المعارف مفتوحة أمامكما . توماس
وأنت ، يا من يمكن القول بأنكما ملمان جيذا بالحقائق .
توماس وأنت ، يا من تدربتما على دقة الرياضيات .
توماس وأنت ، هنا ! أنا مدهوش » .

فقالت لويزا : « كنت متعبة ، يا أبى ظللت متعبة لوقت طويل » .

فسألها الأب المدهوش ، بقوله : « متعبة ؟ من أى شىء متعبة ؟ »

« لست أدرى من أى شىء . متعبة من كل شىء ، على ما أظن » .

« هذا كلام أطفال ، ولن أسمع المزيد » .

لم يتكلم الأب ثانية ، حتى ساروا مسافة نصف كيلو متر ، بعد ذلك فى صمت . ثم قال الأب فى جدية : « ماذا يقول خير أصدقائك ، يا لويزا ؟ ألا تقدرين رأيهم الحسن ؟ ماذا يقول المستر باوندرباى Bounderby ؟ »

ما ان ذكر المستر جرادجرايند هذا الاسم حتى نظرت اليه ابنته بسرعة ، نظرة فاحصة . ثم أسرعت بالنظر الى أسفل مرة أخرى . ولم يبصر الأب هذه النظرة .

قال : « ماذا يقول المستر باوندرباى ؟ » وظل يكرر هذه العبارة ، طوال الطريق ، حتى وصلوا الى سبتون لودج ، وهو يقود الأولاد الى البيت . كان يكرر من وقت الى آخر ، قوله : « ماذا يقول المستر باوندرباى ؟ »

الباب الرابع

المستر باوندرباي

من هو المستر باوندرباي ؟

هو رجل غنى : صاحب مصرف ، وتاجر ، وصانع . .
رجل كبير الجسم ، عالى الصوت ، لضحكته رنين . ينظر
اليك نظرة شديدة . يتكون جسمه من مادة ، يبدو أنها
مدت لتجعله ضخما . يفخر دائما بأنه كون نفسه بنفسه .
يقرر ، بصوته الجهورى الشبيه بصوت البوق النحاسى ،
أنه كان فى صباه ، فقيرا وجاهلا .

يصغر المستر باوندرباي صديقه العملى ، المستر
جرادجرايند ، بسنة أو بسنتين ، ولكنه يبدو أكبر منه سنا
. . سقط كل شعره ، ولم يبق منه سوى القليل . قد يخيل
الى المرء ، أنه محا شعره بكثرة كلامه . ربما كان الشعر
الباقى فى رأسه ، غير مرتب اذا تهب عليه باستمرار ،
مباهاته بصوت عال ، كأنه اعصار .

وقف المستر باوندرباي على البساط أمام وطيس حجرة
الجلوس فى ستون لودج ، يتحدث مع مسز جرادجرايند ،
فيقول :

« كنت خافى القدمين ، وأنا طفل ، ليش عندى حذاء . أما الجورب ، فلم أعرف اسمه . كنت أقضى نهارى خارج البيت ، وأنام ليلا مع الخنازير . هكذا قضيت عيد ميلادى العاشر .

كانت مسز جرادجرايند ، حزمة صغيرة من الملابس الرفيعة البيضاء ، حمراء العينين . انها ضعيفة الجسم والعقل ، تتناول الدواء باستمرار ، دون أية جدوى . وكلما أبدت علامة ما ، تدل على أنها حية ، هزمتها قطعة عظيمة من الحقيقة .

« وهكذا ، هانذا فى يوم عيد ميلادى ، يا مسز جرادجرايند . لا أشكر عليه أحدا غير نفسى » .

تمنت مسز جرادجرايند أن والدته «
فقال المستر باوندرباى : « والدتى ماتت ، ياسيدتى ! »
لم تحاول مسز جرادجرايند أن تفهم .

فقال باوندرباى : « تركتنى أمى لجدتى . وكانت جدتى أسوأ امرأة فى هذه الدنيا . فلو حصلت على زوج أحذية بسيط ، أخذته وباعته لتشتري بثمنه حمرا » .

ابتسمت مسز جرادجرايند ، فى ضعف ، ولم تبد أية أمارة أخرى للحياة . تبدو ، مثلما تبدو دائما ، كأنها صورة فوتوغرافية لأنثى صغيرة ، التقطت فى نور غير كاف .



كانت مسز جرادجرايند ، حزمة صغيرة
من الملابس الرقيقة البيضاء حمراء العينين

استطرد باوندرباى ، يقول : « تملك جدتى حانوتا ،
وتحتفظ بى فى صندوق بيض ، كان فراشى أيام طفولتى . .
ولكننى ارتفعت فوق ذلك النوع من الحياة . فما ان كبرت ،
حتى هربت . . اشتغلت عاملا فى مصنع ، ثم كاتبا ، ثم
ارتقيت فصرت مدير مكتب . ثم شريكا فى مؤسسة . ولكن
المستر جوزياه باوندرباى Josiah Bounderby ، لم يتلق
تعلينا ، بل تعلم الحروف من واجهات الدكاكين . هذا
هو مواطن كوكتاون ، يا مسز جرادجرايند » .

عندئذ ، دخل المستر جرادجرايند مع لويزا واثوماس
الصغير .

صاح المستر باوندرباى ، يقول : « ما الخطب ؟ لماذا
يبدو اثوماس الصغير مكتئبا ؟ » كان يتكلم عن اثوماس
الصغير ، ولكنه كان ينظر الى لويزا .

فقالت لويزا بصوت منخفض ، دون أن ترفع عينيها :
« كنا نلقى نظرة الى السيرك ، فضبطنا أبونا » .

فقال الأب : « يامستر باوندرباى ، بدا الأمر كما
لو أننى وجدت أطفالى يقرءون الشعر » .

فقالت مسز جرادجرايند بصوت ضعيف : « يتملكنى
العجب منكما . كيف أمكنك ، يا لويزا ، وأنت يا اثوماس ،
أن تفعل ذلك ؟ انكما لتجعلانى أسف على أن لى أسرة . كم

أتمنى لو أنه ما كانت لى أسرة ! ماذا فعلتما ؟ أريد أن أعرف » .

لم يظهر فى ملامح المستر جرادجرايند ما يفيد تأثره بمنطق زوجته ، بل بدا عليه القلق .

استأنفت مسز جرادجرايند حديثها ، فقالت : « لماذا لم تذهبا لمشاهدة قواقعكما ، والمواد الخام ، والأشياء العلمية ، بدلا من مشاهدة مسارح السيرك ؟ أنا على يقين من أن لديكما ما يكفى لتعملاه . ان كان هذا هو ما تريدانه . لا أستطيع ، ورأسى بحالته الحاضرة ، أن أتذكر نصف الحقائق . فهناك الكثير منها » .

أمرت مسز جرادجرايند طفليها ، بالعودة الى حجرة استذكار دروسهما . وبقيت وحدها مع زوجها والمستر باوندرباى ، وراحت ، مرة أخرى ، فى غيبوبة . ولكن لم يلتفت اليها أحد .

قال المستر جرادجرايند : « يا باوندرباى ، أنت مولع دائما بطفلى ، وخصوصا لويزا - أقول لك هذا صراحة - لقد استأت كثيرا . اذ خططت ، بحساب تعليم دقيق ، عقل أسرتى . يجب توجيه التعليم الى العقل ، كما تعرف . فلماذا شغفا بذلك السيرك ؟ »

أجاب صديقه ، يقول : « أقول لك لماذا .. انه الخيال السيء » .

فقال الأب العملي : « أمل في ألا يكون كذلك . ولكن يدور بخلدی : هل يمكن أن يكون ثوماس ولويزا ، قد قرءا كتاب قصص سيئا ؟ كيف وهل مثل ذلك الكتاب الى هذا البيت ؟ »

فقال باوندرباي : « انتظر لحظة . لديك في المدرسة طفلة من السيرك » .

قال : « انها سيسيليا چوب » .

فقال باوندرباي : « اذا ، فسأخبرك بما تفعله . افصل هذه البنت من المدرسة ، ينتهي الأمر » .

« نعم ، أنا من رأيك تماما » .

فقال باوندرباي : « افصلها في الحال . كان هذا هو اعتقادی دائما . افصلها فورا » .

فقال صديقه : « لدى عنوان أبيها . سأذهب الى البلدة . الديك مانع من أن تذهب معي ؟ »

فأجاب باوندرباي ، يقول : « ولا أقل مانع . على شرط أن تفصلها في الحال » .

وعلى هذا ألقى المستر باوندرباي قبعته على رأسه . انه يلقيها دائما ليبين انه رجل مشغول بأمور هامة وليس لديه وقت ليلبس قبعته بعناية .

بينما كان المستر جرادجرايند يبحث عن العنوان ،
زار المستر باوندرباي ، لويزا و توماس الصغير في حجرتهما .

فقال لهما : « اتفقنا الآن ، يا لويزا ، واتفقنا الآن ،
يا توماس الصغير . لن تذهبا الى السيرك بعد ذلك . ولن
يقول أبوكما شيئا عن هذا الموضوع . اذا ، يا لويزا ،
فأنت تستحقين قبلة على هذا . أليس كذلك ؟ »

فقالت لويزا ، وقد وقفت ببرود : « يمكنك أن تأخذها
يا مستر باوندرباي » . وسارت ببطء عبر الحجرة ، ورفعت
خدها نحوه ، وقد أدارت وجهها بعيدا .

« أنت ، دائما ، عزيزة عندي ، يا لويزا ، أليس
كذلك ؟ »

انصرف المستر باوندرباي ، ولكن لويزا بقيت واقفة
في نفس المكان ، تمسح بمنديل ، خدها الذي قبله المستر
باوندرباي .

الباب الخامس

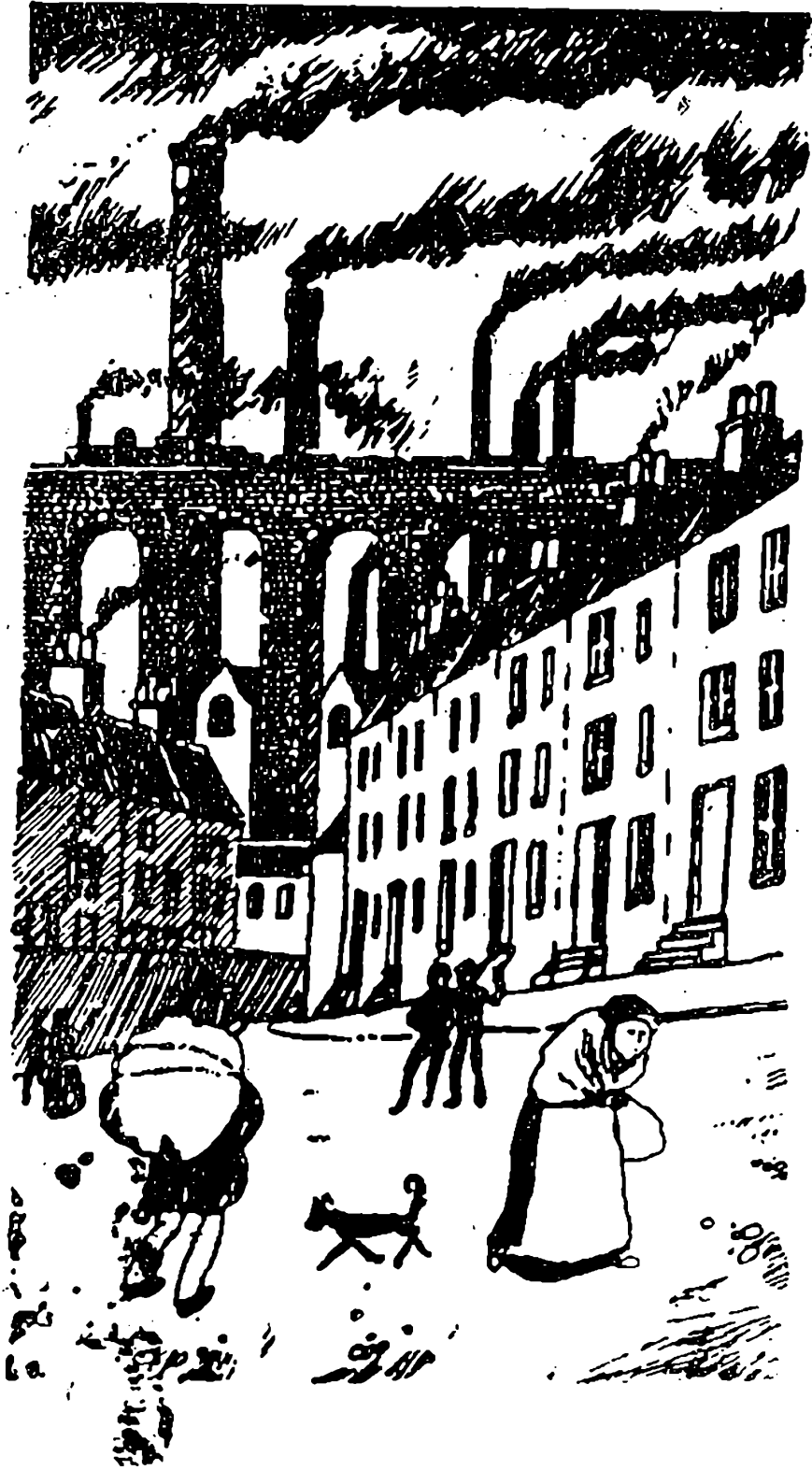
كوكتاون

كوكتاون بلدة مبنية بالطوب الأحمر أو بالطوب الذى يسمح له الدخان والرماد بأن يبدو أحمر اللون . . انها بلدة الآلات والمداخن العالية التى يتصاعد منها الدخان كثيفا فيدور ويدور فى الهواء بلا نهاية ولا انقطاع .

بتلك البلدة قناة سوداء ، ونهر قذر . وتضم المباني الصناعية الضخمة المليئة بالنوافذ ، والتى يستمر الطرق والارتجاج فيها طول اليوم . فتتحرك ذراع الآلة البخارية علوا وانخفاضا باستمرار ، كأنها رأس فيل غاضب هائج .

فى كوكتاون كثير من الشوارع الكبيرة ، كل منها يشبه الآخر تمام الشبه ، وبها كثير من الشوارع الصغيرة المتشابهة أيضا . ويسكنها أناس كل واحد منهم مثل الآخر . يدخلون ويخرجون ، جميعا ، فى نفس الوقت وبنفس الصخب ، وعلى نفس الطوار ، ليؤدوا نفس العمل . وكل شخص منهم يرى اليوم مثل الأمس ومثل الغد . وكل سنة مثل السنة السابقة لها ومثل السنة القادمة .

كوكتاون بلدة الحقيقة ، لا خيال فيها . بنيت كنائسها



كوكتاون بلدة الآلات والمداخن
العالية التي يتصاعد منها الدخان

مثل المصانع ، ومنظر المستشفى بها كمنظر السجن .
وجميع اللافتات بتلك البلدة منقوشة نقشا متشابها ، بحروف
من الأسود والأبيض .

الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة ، بكل موضع فى
المظاهر الهامة بهذه البلدة . والحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة
فى كل مكان بالمظاهر غير الهامة . والمدرسة كلها حقيقة .
والعلاقات بين الرئيس والعامل ، فى المصانع ، كلها حقيقة .
وكل شىء حقيقة بين الميلاد والوفاة وليس هناك أى شىء
لا يمكنك ذكره بالأرقام . ولا يمكن أن يوجد شىء بوسعك
أن تشتريه رخيصةا وتبيعه غاليا .

يحيرنى ما اذا كان من الممكن أن يوجد شبه بين أهل
كوكتاون ، وبين أبناء أسرة جرادجرايند الصغار . وهل
يمكن أن يشبهوا أولاد عائلة جرادجرايند فى حاجتهم الى
التسلية ؟

بينما يسير المستر جرادجرايند ، والمستر باوندرباى
فى طريقهما لمقابلة المستر چوب ، التقيا بسيبيليا چوب ،
أرسلها أبوها لتشتري له زيتا يدهن به جسمه ، اذ أصيب
فى حلبة السيرك . فقادتاهما الى فندق صغير اسمه « ذراعا
پيجاسوس Pegasus » ، يقيم به أبوها وبعض موظفى
السيرك .

الباب السادس

فنون سيليرى بالخبول

لم يكن بالفندق ولا خارجه أى دليل على وجود المستر
چوب . . . جرت سيسى من الفندق الى السيرك ووجهها ينم
عن الرعب الشديد . وشعرها الطويل الفاحم يطير خلف
ظهرها وهى تجرى بحثا عن أبيها .

أثناء غياب سيسى ، تحدث أحد لاعبي السيرك ،
واسمه تشايلدرز Childers ، مع المستر جرادجرايند ،
فأفهمه أن والد سيسى لم يكن يؤدى عروضه كما ينبغى ،
فى الآونة الأخيرة ، فى حلبة السيرك .

فقال المستر جرادجرايند : « معى رسالة للمستر چوب » .
فقال المستر تشايلدرز : « أرى أنه لن يتسلمها . هل
تعرف الكثير عنه ؟ »

فقال جرادجرايند : « لم أره فى حياتى » .
قال : « وأنا أشك فيما اذا كنت ستراه . من الواضح
جدا أنه هرب » .
« أتقصد أنه هجر ابنته ؟ »

فقال تشايلدرز : « نعم ، انه هرب . لقد دبت

الشيخوخة فى عضده ، فما عاد يقوم بعروضه جيدا .
والمتفرجون لا يحبونه الآن . وابنته لا تعرف هذا ، وهو
لا يريد لها أن تعرف . . رأيناها ينصرف وقد أمال قبعتها فوق
عينيه ، وتحت ذراعه صيرة مربوطة بمنديل . ولكن سيسى
لن تصدق أبدا أنه هرب وتركها .

فقال المستر جرادجرايند : « لماذا لا تصدق ؟ »
لأنه هو وابنته ، لم يكونا شخصين ، بل كانا شخصا واحدا ،
لم يفترقا أبدا . أراد والدها أن يعلمها . ولكن كيف يدخل
التعليم رأسها . لا أستطيع أن أعرف . وكل ما أعرفه . هو
أنه لم يخرج أبدا . فنحن معشر أعضاء السيرك ، لا نستقر
فى أى مكان ، بل نتنقل دائما . . ولكن ، لماذا دخلت
سيسى المدرسة ؟ سر أبوها لهذا سرورا بالغا . ربما ظن أن
التعليم سيتكفل بمستقبلها . وربما لأنه كان ينوى ، دائما ،
أن يهرب . وعلى هذا ، ان كان بوسعك أن تساعد سيسى ،
الآن ، بطريقة ما ، كان هذا من حسن الحظ ، من الحظ
الحسن جدا ، وفى الوقت المناسب .

فقال المستر جرادجرايند : « بالعكس ، جئت الى هنا
لأخبر المستر چوب بأن ماضى سيسيليا فى السيرك ، لا يصلح
لمدرستنا . يجب ألا تأتى إليها فى المستقبل . ولكن ،
طالما أن والدها تركها أسمح لى ، يا باوندرباى ،
بكلمة معك . »

تكلم الرجلان معا ، لبرهة من الوقت ، فحاول المستر باوندرباي أن يحدث جرادجرايند على ألا يحتفظ بسيسى فى المدرسة .

فى تلك الأثناء ، جاء مختلف أعضاء سيرك سليرى الى الحجرة ، ووقفوا يتكلمون بأصوات هادئة . وأخيرا ، قدم المستر سليرى صاحب السيرك . وكان رجلا كبير الجسم ، خشن الصوت . فثبت احدى عينيه بينما تشرح العين الأخرى فيما حوالية .

فقال للمستر جرادجرايند ، وهو يلهث : « هذه مسألة غير طيبة ، ياسيدى . سمعت أن المستر چوب وكلبه المدرب ، قد هربا . فهل بوسعك أن تفعل شيئا لهذه البنت المسكينة ؟ »

عند ذلك ، رجعت سيسى . فلما أبصرت الحجرة مليئة بالناس ، وليس أبوها بينهم ، انخرطت فى البكاء ، فأمسكها أعضاء السيرك وهدعوها .

واذ كان المستر جرادجرايند رجلا متعقلا وعمليا ، كعادته ، تكلم يقول :

« ليس من المهم أن نتوقع عودة ذلك الرجل ، أو عدم عودته . . انه هرب ، وليس من المتوقع الآن أن يعود . هذا هو ما يتفق عليه كل واحد منا ، على ما أظن » .

فقال سليرى : « هذا متفق عليه ، ياسيدى » .
« والآن ، ياسيسيليا چوب ، أريد أن أتكفل بك
وأعلمك . والشرط الوحيد الذى أطلبه ، هو ألا تتصلى بأى
واحد من أصدقائك هؤلاء » .

عندئذ سأل المستر سليرى سيسى عما اذا كانت تفضل
البقاء معهم وتتعلم لتصير واحدة من عارضات السيرك .
بينما تفكر سيسى فى هذا الموضوع ، قال المستر
جرادجرايند : « الملاحظة الوحيدة التى أبدىها لك ،
ياسيسيليا چوب ، هى أنه من الضرورى جدا لك ، أن
تحصلى على تعليم عملى طيب . فحتى والدك نفسه ، يبدو
أنه عرف ذلك وشعر به » .

من الجلى أنه كان لهذه الألفاظ الأخيرة تأثير ملحوظ
على سيسى . فتوقفت عن البكاء ، وواجهت المستر جرادجرايند .
همس أعضاء السيرك ، يقولون : « انها ستذهب » .
صاحت سيسى تقول : « ولكن ، ان رجع أبى ،
فكيف يعثر على ، ان ذهبت ؟ »

فقال المستر جرادجرايند : « لا تشغلى بالك بهذا
الأمر . فى هذه الحالة سيسأل أبوك المستر سليرى عن
مكانك » .

ساد الجو سكون تام ، ثم صاحت سيسى تقول :

« أعطوني ملابسى ، ودعوني أذهب ، قبل أن
أكسر قلبى » .

أحضرت نساء السيرك ممتلكات سيسى القليلة فقبلتهن
قبلة الوداع . وعندهما ذهبت لتوديع الذكور من أعضاء
السيرك ، كان على كل واحد منهم أن يمد ذراعيه . فعلوا
ذلك ، جميعا ، لأنها عادتهم عندما يكونون فى خضرة سيد
حلبتهم المستر سليرى . ثم قبلها كل واحد منهم قبلة الوداع .

فتح المستر سليرى ذراعيه ، وأمسك سيسى من كلتا
يديها ، كما لو كان لا يزال سيد ركوب الخيل . « وأنها نزلت
لتوها على الأرض من فوق ظهر خضان » .

قال المستر سليرى : « وداعا ، يا عزيزتى ! هذه هى
آخر كلماتى اليك . كوني مطيعة للمستر جرادجرايند ،
وانسينا نسيانا تاما . ولكن عندما تكبرين وتتزوجين ،
وتصيرين غنية ، فان التقيت بأى سيرك ، فلا تسمئزى منه .
يجب تسلية الناس » . ثم استطرد كلامه يخاطب زائريه
بقوله : « ليس بوسع كل انسان أن يعمل باستمرار ، أو
يتعلم باستمرار ، يا سيدى ! »

أعلنت فلسفة سليرى وهم يهبطون السلم وسرعان
ما غاب الأشخاص الثلاثة وسط ظلام الشارع ، من أمام عين
الفلسفة الثابتة ، وعينها المتحركة .

الباب السابع

مسز سپارسيت

كان المستر باوندرباي رجلا أعزب ، ترعى بيته سيدة عجوز ، نظير أجر سنوى يدفعه لها . انها مسز سپارسيت Sparsit . عاشت قبل ذلك أياما تختلف عن أيامها الحالية ، اذ كانت زوجة رجل ثرى ، ولكنه مات فقيرا بعد أن أنفق كل أمواله على الخمر . بيد أنه كان لمسز سپاسيت أقارب من عليه القوم . فلها عمة عظيمة ، لاتزال على قيد الحياة ، اسمها ليدى سيدجرز Lady Seadgers .

لمسز سپارسيت أنف ضخم معقوف ، وحاجبان كثيفان أسودان . ومع ذلك ، فما زالت أنيقة المنظر ، وأخلاقها محترمة جدا . وكان المستر باوندرباي يعاملها بأدب جم ، احتراما لثرائها السابق .

يقول المستر باوندرباي لأصدقائه : « ورغم هذا ، فكيف تصير الأمور أخيرا ؟ انها هنا تعمل بأجر مائة جنيه فى العام ، ترعى بيت جوزياه باوندرباي ، أحد مواطنى كوكتاون .

بينما كان المستر باوندرباي يتناول طعام افطاره على

المائدة ، قالت له مسز سيارسيت : « انك تتناول طعام افطارك ببطء ، فى هذا الصباح ، يا مستر باوندرباى ! »

قال : « لماذا ، يامدام ؟ اننى أفكر فى وعد توم جرادجرايند السخيف ، بأن يأخذ فتاة السيرك » .

قالت : « تنتظر هذه البنت ، الآن ، لتعرف ما اذا كانت ستذهب الى المدرسة مباشرة ، أم الى بيت المستر جرادجرايند (ستون لودج) » .

فقال المستر باوندرباى : « قلت لتوم جرادجرايند ، ان بوسع هذه الفتاة أن تبني هنا الليلة الماضية ، ويمكنه أن يقرر ما اذا كان سيأخذها الى بيته فى هذا الصباح » .

« حقا ، يامستر باوندرباى ، ما أصوب تفكيرك ! »
انكمش حاجبا مسز سيارسيت الأسودان ، عندما شربت قليلا من الشاى .

قال باوندرباى : « يتضح لى ، أن لويزا لن تحصل على أى شىء طيب من مثل هذه الصحبة » .

تناولت مسز سيارسيت ، قليلا من الشاى ، مرة أخرى ، وقالت : « أنت أب آخر للويزا ، يا سيدى » .

« ان قلت ، أننى أب آخر لتوم - أى توم الصغير ، وليس صديقى توم جرادجرايند ، كنت أقرب الى الحقيقة . سأخذ توم الصغير فى مكتبى ، يامدام » .

« أليس توم صغيرا لذلك العمل ، ياسيدى ؟ »

خاطبت مسز سيارسيت المستر باوندرباى بلقب
« سيدى » لتبين سلوكها المؤدب :

فقال المستر باوندرباى : « لن آخذه الآن ، لابد لذلك
الغلام أن يتم تعليمه ، قبل أن يأتى الى سيكون قد نال
قسطا كافيا من التعليم وقتذاك . ولكن ذلك الغلام لا يعلم
ما نلته أنا نفسى من تعليم بسيط . لذا أجد صعوبة فى
مخاطبة الناس كأنداد لى . . . والآن ، كنت أتحدث معك
عن أعضاء السيرك . ماذا تعرفين عنهم ؟ كان يسرنى ،
أنا نفسى ، أن أعمل فى سيرك ، عندما كنت صبيا .
ولكنك ، فى ذلك الوقت ، كنت قد خرجت من الأوبرا
الايطالية ، تتحلين بمجوهراتك » .

فقالت باحترام : « هذا أكيد ، ياسيدى . عرفت
الأوبرا الايطالية وأنا صغيرة السن جدا . أمل فى أن أعتاد
تغيرات الحياة . ولكن كل امرئ يلد له أن يسمع عن
تجاربك ، وعن مصاعب حياتك أيام صباك » .

فقال المستر باوندرباى : « حسنا ، يا مدام ! ربما
يقول البعض انهم يحبون أن يسمعوا عما سار فيه جوزياه
باوندرباى » .

فى تلك اللحظة ، وصل المستر جرادجرايند مع ابنته

لويزا . فاستدعيت سيسى چوب الى الخجرة . فقال لها
المستر جرادجرايند ؛

« يا چوب . قررت أن أخبرك بأننى سأخذك الى
بيتى . وعندما لا تكونين بالمدرسة ، فستعملين فى مساعدة
مسز جرادجرايند ، لأن صحتها ليست طيبة . وقد أخبرت
الآنسة لويزا ، بأن حياتك ، فى السيرك قد انتهت الآن .
يجب ألا تتحدثى عنها بعد ذلك . وأنت الآن جاهلة .
أعرف هذا » .

قالت : « نعم ، ياسيدى . أنا جاهلة جدا . ولكننى
تعلمت القراءة . وكنت أقرأ لوالدى » . ثم أخذت تبكى .
نظرت اليها لويزا ، وسألها المستر جرادجرايند بقوله:
« ماذا كنت تقرئين لأبيك ؟ »

انتحبت سيسى ، وقالت : «كنت أقرأ له عن الحوريات ،
وعن المخلوقات الغريبة » .

« الزمى الصمت ! هذا يكفى . لا تتكلمى عن أمثال
هذه الخزعبلات ، بعد الآن . . . » ثم استدار نحو صديقه ،
وقال له : « يا باوندرباى ، هذه البنت فى حاجة الى
تدريب وتعليم دقيقين . سألأحظ هذا بعد الآن ،
يا باوندرباى ، وأنا أجد متعة فيه » .

وهكذا ، صحب المستر جرادجرايند وابنته ، سيسيليا
چوب معهما الى ستون لودچ . ولم تتكلم لويزا أثناء الطريق
بأية كلمة ، سواء أكانت طيبة أم خبيثة . . ثم باشر المستر
باوندرباي عمله اليومي ، وأخذت مسز سپارسيت تفكر
طول المساء .

الباب الثامن

لا تتعجب اطلاقا

بعد ذلك ببضعة أيام ، جلست لويزا وأخوها توم فى
حجرة استذكار الدروس ، وأخذا يتكلمان .

فقال توم : « أنا أكره حياتى يا لو ، وأكره كل انسان
ما عداك » .

وقالت لويزا : « أنت لا تكره سيسى . فهل تكرهها ،
يا توم ؟ »

قال : « انها تكرهنى » .

فقالت أخته : « كلا ، انها لا تكرهك . أنا متأكدة
من هذا » .

قال : « يجب أن تكرهنى . يجب أن تكرهنا ،
جميعا . سيرهقون رأسها بهذا العمل ، على ما أظن . فقد
بدأ لونها يمتقع » .

كانا يجلسان بجانب الوطيس . لويزا فى الركن
الأكثر ظلاما ، تنظر أحيانا الى أخيها ، وأحيانا تلاحظ
النار وهى تشتعل .

فقال توم : « أنا غبي . مجرد حمار . وأحب أن أرفس مثل الحمار . وبالطبع ، إن أرفسك يا لو . ولكن عندما أذهب لأعيش مع العجوز باوندرباي ، سأخذ بثأري » .
« تارك ، يا توم ؟ »

قال : « أقصد أن أمتع نفسي قليلا ، وأخرج وأرى الحياة . سأعوض نفسي عن الطريقة التي عوملت بها في هذا البيت » .

فقالت لويزا : « ستجد المستر باوندرباي يفكر مثل تفكير أبي . وهو أشد قسوة ، وليس رحيفا مثل أبي » .
فضحك توم وقال : « لا يهمنى ذلك ، سأعرف كيف أسوس العجوز باوندرباي » .

قالت : « وما طريقتك التي ستسوسه بها ، يا توم ؟ هل هي سر ؟ »

قال : « ان كانت سرا ، فهي ليست بعيدة . انها أنت . فأنت عزيزة على نفسه ، ويعمل أى شىء من أجلك . فإذا قال لى شيئا لا أستسيغه ، فسأقول له : « ستغضب من هذا أختى لويزا ، يا مستر باوندرباي » .

نظرت لويزا الى النار وهي تفكر .

الباب التاسع

تقديم سيى

لم تجد سيى چوب وقتنا مريحا . فكانت هناك المدرسة . وكانت هناك مسز جرادجرايند . وقد فكرت فى الشهور الأولى ، فى أن تهرب . الا أنها كانت تعتقد أن أباهم لم يهجرها . فكانت تعيش على أمل أنه سيعود ، وسيسعه أن يجدها حيث هى الآن . وكانت معلمتها فى المدرسة قررت أن رأس سيى ضعيف فى الأرقام ، وأنها متأخرة جدا فى دروسها . فهز المستر جرادجرايند رأسه ، وقال ان چوب يجب أن تبقى فى المدرسة . وعلى هذا بقيت سيى بالمدرسة وصارت أضعف روحا وعقلا .

وذات مساء قالت سيى للآنسة لويزا : « أتمنى لوكنت مثلك يا آنسة لويزا » . وكانت لويزا تحاول أن تشرح لها بعض الدروس المدرسية .

فقالت لويزا : « لماذا ؟ »

قالت سيى : « لكى أعرف الكثير مثلك ، يا آنسة لويزا . فكل ما هو صعب على الآن ، سيصير سهلا » .

فُقلت لويزا : « لن تكونى أحسن من ذلك ، فى الدروس ، يا سيسى » .

قلت سيسى : « أنا أعطى اجابات خطأ دائما فى الفصل . لن أتعلم اطلاقا . ورغم أن أبى المسكين ، أرادنى أن أتعلم ، فأخشى أننى لن أحب التعليم » .

فسألتها لويزا بقولها : « وهل كان والدك ، نفسه ، يعرف الكثير ؟ »

« كلا ، يا آنسة لويزا ، الحقيقة أن أبى لا يعرف سوى القليل جدا ، وقلما يستطيع الكتابة » .
« وماذا عن أمك ؟ »

« يقول أبى انها كانت عالمة . ماتت عندما ولدت . . كانت راقصة » .

« هل كان أبوك يحبها ؟ »

« نعم ، كان يحبها حبا شديدا ، مثلما يحبنى وقد أحببنى أبى من أجل خاطرها . كان يحملنى معه أينما ذهب ، وأنا طفلة رضية . لم نفترق أبدا » .

« ولكنه تركك ، الآن ، يا سيسى . ألم يتركك ؟ »

« لم يتركنى الا من أجل صالحى . ولا أحد يفهمه مثلما أفهمه أنا . أعرف أنه لن يكون سعيدا الا اذا رجع الى » .

« أين كنتم تعيشون ؟ »

« لم يكن لنا مكان ثابت نعيش فيه ، بل كنا نتنقل

• فى جميع بلاد الدولة • كان والدى عارضا فى السيرك •
• كان مهرجا » •

فقال لويزا : « يضحك الناس » •

« نعم ، ولكنهم كانوا ، أحيانا ، لا يضحكون وبعد
ذلك ، يبكى أبى » •

« وهل كنت راحتته ، فى كل شىء ؟ »

• فقالت سيسى وهى تبكى : « نعم ، وأتمنى ذلك •
قال أبى اننى كنت راحتته » •

دخل توم الحجرة وقال :

• « أحضر أبى معه ، العجوز باوندرباى ، الى بيتنا •
أريدك أن تأتى معى ، يا لو ، الى حجرة الجلوس • فان
أتيت ، دعانى العجوز باوندرباى ، الى تناول العشاء معه » •
• ذهبت لويزا مع أخيها •

كانت سيسى چوب ، تسأل المستر جرادجرايند دائما ،
عما اذا كان قد وصله خطاب عنها • الا أن الجواب كان
دائما : « لا » • ما من كلمة جاءت من عند أبيها •

الباب العاشر

ستيفن بلاكبول

لم تتناول هذه القصة ، حتى الآن ، سوى المستر باوندرباى الغنى ، وأسرة جرادجرايند المرحة . ولكن هناك كثيرين من أهالى كوكتاون ، فقراء ، يؤدون أعمالا شاقة بالمصانع القبيحة الشكل ، فى وسط كوكتاون . تظهر الطبيعة هناك قوية البنيان ، فى الخارج ، بينما فى الداخل الهواء القاتل والغازات القاتلة . ويعيش العمال فى شوارع ضيقة . يسرعون خلالها الى أعمالهم ، ويعودون خلالها أيضا ، من تلك الأعمال . وعادة ، يطلقون على أولئك العمال ، اسم « الأيدى » .

من بين هؤلاء العمال رجل يدعى ستيفن بلاكبول Stephen Blackpool ، يبلغ من العمر أربعين سنة . ولكنه يبدو أكبر من سنه . ويعيش عيشة قاسية .

ذات ليلة ماطرة . غادر ستيفن عمله ، بعد أن توقفت الآلات ، ودقت الأجراس ، وأسرعت جميع الأيدى ، رجالا ونساء ، وأولادا وبنات ، الى بيوتهم . الا أن ستيفن وقف ساكنا .

قال ستيفن لنفسه : « لم أبصر راشيل Rachel. »

مرت أمامه جماعات من النساء ، وقد وضعن أغطية على رءوسهن ، لوقايتها من المطر ، بيد أن راشيل لم تكن بينهن .

أخذ ستيفن يسير نحو بيته . وبعد فترة وقع بصره على شخص مألوف له ، يسير فى نفس الشارع . فزاد من سرعته ، ثم نادى ، يقول : « راشيل » .

استدارت تلك المرأة ، فرأى وجهها فى ضوء المصباح الساطع بذلك الشارع . . كان ذلك الوجه هادئاً ذا عينيّن لطيفتين ، وشعر أسود ، وتبلغ صاحبته من العمر حوالى خمسا وثلاثين سنة .

فقال ستيفن : « جيئت مبكرة ، فى هذه الليلة ، ياراشيل » .

قالت : « لا أعرف أبدا متى أترك العمل . ومن الخير لنا ، ألا نرى معا . نحن صديقان قديمان ، ولكن ذلك من الأفضل » .

قال : « ولكنه يشق على ، ياراشيل » .

قالت : « حاول ألا تفكر هذا التفكير » .

قال : « حاولت ، ولكن لم أفجح . أنت على حق . فقد يتقول الناس عنا . كلمتك قانون بالنسبة لى » .

سار ستيفن وراشيل ، معا ، مسافة ما ، ولما اقتربا
من بيتيهما ، توقفت راشيل عند ناصية شارعها ، ووضعت
يدها فى يده ، وتمنت له ليلة سعيدة .

قال : « عمى مساء ، يا عزيزتى راشيل ، عمى مساء » .

مشى ستيفن فى طريقه الى بيته ، وكان فى شارع
ضيق ، فوق حانوت صغير . فصعد السلم الى حجرته ،
وكانت مظلمة . ولكنه حمل شمعة ليضعها فوق نضد . وبينما
هو يفعل ذلك . كاد يقع فوق شئ على الأرض .

أبصر على الأرض امرأة قذرة الملابس ، قبيحة المنظر ،
لعبت الخمر برأسها . كانت زوجته .

صاح ستيفن ، وهو يتراجع الى الخلف ، فقال :
« يا لرحمة السماء ! هل رجعت ثانية ؟ »

قالت : « نعم ، رجعت ثانية . أنا أرجع دائما .
ولماذا لا أرجع ؟ »

نهضت تلك الزوجة ، وارتمت على السرير ، وسرعان
ما استغرقت فى النوم . بينما استلقى ستيفن على كرسى ،
ولم يتحرك الا مرة واحدة ، فى تلك الليلة ، ليضع غطاء
فوق جسم زوجته .

الباب الحادى عشر

لا طريق للخروج

ذهب ستيفن فى فترة ساعة الغداء من اليوم التالى ،
لزىارة مخدمه المستر باوندرباى . وكان هذا الأخير يتناول
طعام الغداء مع مدبرة بيته مسز سيارسيت .

فقال المستر باوندرباى : « ما خطبك الآن يا ستيفن؟ »

انحنى ستيفن ، وقبعته فى يده .

فسأله المستر باوندرباى بقوله : « هل جئت لتقدم

شكوى ؟ »

قال : « لا ، ياسيدى » .

أزاح المستر باوندرباى طبقه بعيدا عنه : وانحنى الى

الخلف ، وقال : « اذا ، فأخبرنى بسرعة ، لماذا أتيت » .

فقال : « جئت ، ياسيدى ، طلبا لنصيحتك . أريدها

بشدة . . . تزوجت منذ تسع عشرة سنة ، وكانت فتاة صغيرة

السن وجميلة . وكنت رقيقا معها . ولكن الأمور

ساعت الآن » .

فقال المستر باوندرباى : « سمعت كل هذا من قبل .

وأنها أدمنت شرب الخمر ، وتوقفت عن العمل ، وباعت الأثاث والملابس » .

فقال ستيفن : « فصبرت عليها . وعدة مرات ذهبت الى البيت لأجد كل ما أملكه قد ذهب وأنها أنفقت النقود على الخمر . وأراها راقدة على الأرض فاقدة الوعي » .

وبينما ستيفن يتكلم ، تعمقت كل تجعيده في وجهه لتبين ما يقاسيه من محن ، فقال :

« ظلمت ، مدة خمس سنوات ، أدفع لها نفقة لتظل بعيدة عني . ولكنى ذهبت ، في الليلة الماضية ، فوجدتها راقدة على الأرض » .

فقال المستر باوندرباي : « أعرف كل هذا ، قبل الآن ، باستثناء الجزء الأخير . انه أمر سيء ما كان يحق لك أن تتزوجها ، اطلاقا » .

فقال ستيفن : « جئت اليك ، ياسيدي لتخبرني كيف يمكنني التخلص منها » .

فقال المستر باوندرباي ، وهو ينهض من مقعده : « ماذا تعنى ؟ عن أى شيء تتكلم . لقد أخذتها للسراء وللضراء » .

قال : « صادقت أفضل امرأة موجودة في الدنيا . ولولاها ، ولولا خاطرها ، لجنت » .

رفعت ميز سيارسيت رأسها تنظر الى فوق ، وقالت:
« أخشى أنه يريد التحرر ليتزوج هذه المرأة التى يتكلم عنها،
يا مستر باوندرىباى » .

فقال ستيفن : « هو كذلك . قرأت فى الصحف أن
العظماء والأغنياء لا يرتبطون معا الى الأبد . ويمكنهم
التحرر من زيجاتهم التعيسة ليتزوجوا مرة ثانية . يجب
أن أتحرر من هذه المرأة . وأريد أن أعرف كيف يتم لى ذلك » .

فقال المستر باوندرىباى : « لا سبيل لخروجك من هذا
المأزق » .

قال : « ان هربت منها، فهل هناك قانون يعاقبنى؟ »

« طبعاً ، هناك قانون يعاقبك » .

« وان تزوجت المرأة الأخرى ، فهل هناك قانون

يعاقبنى ؟ »

« طبعاً ، هناك قانون لذلك » .

فقال ستيفن : « والآن ، أستحلفك باسم الرب ، أن

تدلىنى على قانون يساعدنى ! » .

فقال المستر باوندرىباى : « هناك قانون يمكن أن

يساعدك ، ولكنه يكلفك الكثير من النقود » .

قال : « كم ؟ »

« أظنه يكلفك من ألف الى ألف وخمسمائة جنيه ، أو
ضعف ذلك » .

فقال ستيفن : « أما من قانون آخر ؟ »

فأجاب المستر باوندرباي ، بقوله : « بالتأكيد ،
لا يوجد قانون آخر » .

فقال ستيفن ، وقد امتقع لونه بشدة : « لماذا ، اذن ،
ياسيدى ! كل شيء صعب ومتعب . الحياة صعبة ومتعبة .
وكلما أسرع الى حتفى كان أفضل » .

قال ستيفن قوله هذا وأحبنى اليهما رأسه ، وخرج
من الحجرة .

الباب الثاني عشر

المرأة العجوز

هبط ستيفن درجتى السلم اليبضاوين ، وأقفل الباب الكبير لبيت المستر باوندرباى ، وعبر الشارع وعيناه مثبتتان على الأرض فى حزن عميق فاذا به يحس بشخص يلمس ذراعه .

ذلك الشخص امرأة عجوز ، طويلة القامة ، مازالت تحتفظ بمسحة من الجمال ، نظيفة الثياب البسيطة ، وحذاؤها ملوث بوحل الريف . من الجلى أنها قطعت مسافة ما .

قالت : « معذرة ، ياسيدى ! ألم أبصرك تخرج من بيت ذلك الرجل العظيم ؟ » وأشارت الى بيت المستر باوندرباى . ثم استطرقت تقول : « هل رأيته ؟ »
« نعم ، رأيته » .
« وكيف رأيت منظره ؟ هل يوحى منظره بخير ؟ »
« نعم ، يبدو فى صحة جيدة جدا » .

فقالت المرأة العجوز ، وقد اقتنعت تماما : شكرا لك ، سيدى ! أشركك » .

فسألها ستيفن عما اذا كانت قد جاءت من الريف .
قالت : « نعم ، جئت بالقطار ، فى هذا الصباح ،
من مسافة ستين كيلو مترا . وسأقطع نفس المسافة ، عائدة
فى هذا المساء . أنفق مدخراتى هكذا ، مرة فى كل سنة ،
أجىء لرؤيته ذلك السيد ونظرت مرة أخرى الى بيت المستر
باوندرباى .

استأنفت هذه السيدة كلامها ، فقالت : « لم يخرج
من بيته ، فى هذه السنة ، وأنا هنا . ولكنى رأيتك ، وأنت
رأيتة . ويجب أن أكتفى بذلك . هل أنت ذاهب الى
العمل ؟ »

قال : « نعم : فأنا أعمل بمصنع المستر باوندرباى » .
قالت : « هل أنت سعيد فى عملك ؟ منذ كم من
الوقت ، وأنت تعمل عنده ؟ »

« منذ حوالى اثنتى عشرة سنة » .

قالت : « يجب أن أقبل اليد التى عملت فى هذا
المصنع الجميل ، مدة اثنتى عشرة سنة » .

قالت هذا ، ورفعت يده الى شفيتها .

بعد ذلك ، بينما ستيفن يعمل فى المصنع ، ألقى
نظرة الى خارج النافذة ، فأبصر المرأة العجوز ، واقفة
بالخارج ، تنظر الى المبنى ، معجبة به ، ثم انصرفت .

الباب الثالث عشر

راشيل

قبل أن يذهب ستيفن الى بيته ، فى تلك الليلة ، ظل يتجول فى الشوارع لفترة ما . وتوقع أن يجد زوجته بالمنزل تصيح بوحشية . وعندما اقترب من حجرته ، أبصر نورا فى النافذة .

وجد الهدوء والسلام فى الداخل . وكانت راشيل هناك ، جالسة بجانب السرير الذى ترقد فوقه زوجة ستيفن . وقد نظفت الحجرة ، وأوقدت نارا ، بينما ترقد زوجته على السرير فى هدوء .

فقلت راشيل : « يسرنى أنك جئت ، أخيرا ، يا ستيفن . لقد تأخرت جدا » .

قال : « كنت أتجول جيئة وذهابا » .

قالت : « هذا هو ما جال بفكرى ، ولكن هذه الليلة ليست لمثل هذا التجول . فالمطر يهطل وابلا ، وقامت الريح شديدة » .

الريح ؟ هذا حقيقى . كانت تهب عاصفة وترعد داخل

المدخنة . فكيف يبقى ستيفن خارج البيت فى مثل هذه
الرياح ، ولا يعلم أنها تهب ؟

قالت راشيل : « كنت هنا ، مرة ، قبل اليوم ،
ياستيفن . استدعتنى صاحبة بيتك ، فى وقت العشاء
وقالت ان زوجتك مريضة . . . كانت زوجتك تعمل معى
ونحن فتاتان صغيرتان ، وكنت صديقتها . لذا حضرت
لأعمل القليل الذى يمكننى عمله . . . حاولت أن تنتحر فى
هذا الصباح » .

سار ستيفن ببطء نحو كرسى ، وجلس ، وهو مطأطئ
الرأس ، وراشيل تعتنى بالجروح التى فى رقبة زوجته .
فوضعت قطعة من الشاش فى حوض ، وسكبت فى الحوض
سائلا من زجاجة ، ثم وضعت قطعة الشاش ، برفق ، فوق
الجروح . وكان هناك نضد صغير الى جانب السرير ، فوقه
قارورتان احدهما التى سكبت راشيل منها السائل .

لم تكن الزجاجة بعيدة عن ستيفن . واذا كان يتابع
يدى راشيل بعينيه ، أمكنه أن يقرأ ما كتب عليها بحروف
كبيرة « سم . لا تشرب » . فامتقع لونه جدا ، وتملكه
رعب فجائى .

فقالت راشيل ، فى هدوء :

« سألنى هنا ، ياستيفن ، حتى تدق الأجراس معلنة

الساعة الثالثة . يجب أن أغسل جروحها ، مرة ثانية ،
فى ذلك الوقت . وبعدئذ يمكن تركها حتى الصباح » .

فقال ستيفن : « ولكن ، ماذا عن راحتك فى هذه
الليلة ؟ عليك أن تعملى بالمصنع غدا » .

قالت : « نمت جيدا ، فى الليلة الماضية ، ويوسعى
أن أبقى متيقظة لعدة ليال . أنت الذى بحاجة الى الراحة .
لونك ممتقع جدا ويبدو عليك التعب . حاول أن تنام على
ذلك الكرسي . بينما أظل أنا يقظى » .

سمع ستيفن قصف الريح تزمجر فى الخارج وبدأ كأن
احساساته الغاضبة ، تحاول النيل منه . ولكن راشيل عملت
على تهدئة هذه الاحساسات . وكان يثق فى أن بمقدورها
أن تحميه من نفسه .

قالت راشيل : « انها لا تعرفنى ، يا ستيفن . انها
مريضة جدا ، فعندما تثوب الى رشدها ، مرة أخرى ،
أكون قد فعلت ما فى مكنتى ، دون أن تعرف اطلاقا . .
الطبيب انها ستعود الى عقلها السليم غدا » .

وقفت عينا ستيفن ، مرة أخرى ، عند القارورة ذات
البطاقة المكتوب عليها « سم » فارتجف جسمه ، وجعل
أعضائه ترتعش . فقالت راشيل : « انك لترتعد بردا
وبللا ، يا ستيفن » .

قال : « كلا . فقد أصابني رعب ، وأنا قادم الى البيت ، عندما كنت أفكر . عندما كنت » .

قالت : « أيا ستيفن ! » وهمت بأن تذهب نحوه ، الا أن ذراعه امتدت لتوقفها .

قال : « أرجوك ألا تقبلى نحوى . دعيني أراك جالسة بجانب السرير ، طيبة ومسامحة . دعيني أراك مثلما رأيتك عندما جئت الى هنا » .

ارتعد ستيفن مرة أخرى ، وارتدى فوق كرسيه .

فقالت راشيل : « عندما تتحسن حالتها ، ياستيفن ، فمن المنتظر أن تتركك وشأنك ، مرة أخرى . ولن تصيبك بأى أذى بعد ذلك والآن ، سألزم الهدوء ، اذ أريدك أن تنام » .

أغمض ستيفن عينيه ، وأخذ يصغى الى زمجرة الريح . وبالتدريج ، تحول الى عمل آلاته بالمصنع ، والأصوات التى سمعها طوال ذلك النهار . ثم استغرق فى النوم .

بعد لحظة ، أيقظه صوت الريح ، وكان المطر يحدث صوتا وهو يسقط على أسطح البيوت . وانكشفت الخطوات الكبرى ، التى تحرك بها فى حلمه ، الى جدران حجراته الأربعة . وكانت كما هى ، باستثناء أن النار انطفأت . . .



ارتعد ستيفن مرة أخرى ، وارتمى
فوق كرسية .

وبدا أن راشيل نامت فوق مقعدها بجانب السرير . وبقى
النضد فى نفس موضعه ، وفوقه الزجاجتان . أحدهما
زجاجة السم .

خيل الى ستيفن ، فجأة ، أنه رأى الستار الذى فوق
السرير يتحرك . فنظر الى فوق ، مرة أخرى ، وتأكد من
أنه يتحرك فعلا . أبصر يدا تتحرك وتمتد . وبعد ذلك ،
جذبت المرأة التى فوق السرير ، الستار جانبا ، وجلست .
وجالت عيناها فيما حولها . يبدو أنها لم تبصر الناس
الموجودين فى الحجرة . ثم توقفت عيناها عند النضد
والزجاجتين اللتين فوقه .

أخذت قدحا ، ونظرت الى القارورتين ، ثم أمسكت
القارورة التى فيها الموت السريع الأكيد ، ونزعت سدادتها .
وبينما عيناها تراقبان راشيل ، سكبت محتويات الزجاجاة ،
ببطء ، وقربت السائل من شففتيها . وعندئذ ماهى
الا لحظة ، حتى لا يمكن اسعافها .

هبت راشيل واقفة ، وهى تصيح . ففاضلت هذه
المرأة المتوحشة ، وضربت راشيل ، وأمسكتها من شعرها .
ولكن راشيل أخذت القدح من يدها .

نهض ستيفن من فوق كرسيه ، وقال : ياراشيل ،
هل أنا أمشى أم أحلم ؟ «

قالت : « كل شيء على ما يرام ، ياستيفن . لقد
نعست ، أنا نفسى ، والساعة الآن حوالى الثالثة . . اصغ .
انى لأسمع دقائق ساعة الكنيسة الآن » .

نقلت الريح أصوات ساعة الكنيسة الى النافذة ،
فأصغيا اليها وهى تعلن الثالثة . فنظر ستيفن الى راشيل ،
فوجدتها ممتقعة اللون ، ولاحظ عدم ترتيب شعرها ،
وآثارا حمراء لأصابع على جبهتها فأيقن من أنه كان
متيقظا . وكانت راشيل لاتزال ممسكة بالقدرح فى يدها ،
فقالت بهدوء :

« ظننتها حوالى الثالثة » .

سكبت راشيل السائل فى الحوض ، ووضعت فيه
قطعة الشاش ، وقالت : « لقد هدأت الآن ، فيمكننى غسل
الجروح » .

غسلت راشيل جروح المرأة المريضة بالسائل ، ثم
سكبت الباقي من الحوض ، فوق النار ، وكسرت الزجاجاة .
ارتدت راشيل معطفها ، واستعدت للخروج فى
الريح والمطر .

فقال ستيفن : « اسمحى لى بأن أسير معك ياراشيل » .
قالت : « كلا ، فانها مسافة دقيقة على الأقدام الى
بيتى » .

فقال بصوت منخفض وهما يسيران نحو الباب :
« أليست خائفة من أن تتركينى وحدى معها ؟ »

وبينما هى تنظر اليه وتقول : « ياستيفن ! » جثا
على ركبته أمامها ، وقال :

« أنت ملاك ، يا راشيل . جئت الى البيت وقد
استبدبى اليأس . وليس بمقدور أى انسان أن يساعدى ،
ثم رأيت زجاجة السم على النضد . . لا أحد يعرف ماذا
كنت سأفعل بنفسى ، أو بها ، أو بكلينا » .

قالت : « كف عن الكلام ! » ووضعت كلتا يديها على
فمه لتمنعه أن يتكلم . ووجهها مملوء بالرعب . ثم ألقته
عليه تحية المساء بصوت متهدج ، وخرجت الى الشارع .

هبّت الريح من الناحية التى سيبزغ منها النهار .
ومازالت تهب بعنف ، وجعلت السماء صافية أمامها . وكف
المطر عن الانهمار ، وذهب الى مكان آخر . وتألقت
النجوم فى السماء ، ووقف ستيفن عازى الرأس فى الطريق
يراقب اختفاء راشيل السريع .

وكما هى النجوم المتألقة بالنسبة الى الشمعة
الصغيرة ، التى فى النافذة ، كذلك كانت راشيل بالنسبة
الى هذا الرجل ، فى أحداث حياته المحزنة .

الباب الرابع عشر

الصانع العظيم

سار الوقت في كوكتاون مثلما تسير آلاتها . فكم من مواد صنعت ، وكم من طاقات استعملت ، وكم من أموال جمعت !

كذلك طال الوقت مثلما زاد طول ثوماس الصغير ثلاثين سنتيمترا عما لاحظته أبوه آخر مرة .

فقال المستر جرادجرايند : « حان الوقت الذي يجب أن يذهب فيه ثوماس الى مصرف باوندرباي » .

وهكذا مرر الوقت ثوماس الصغير الى مصرف باوندرباي ، وجعله يعيش في بيته .

كذلك مرر الوقت سيسى خلال مصنعه (أى مصنع الوقت) وجعلها فتاة جميلة جدا ، بحق .

قال المستر جرادجرايند : « أخشى ، يا چوب ، أن يكون تقدمك في المدرسة مثبتا للعزيمة . فلم تحصلى على كمية المعارف المتوقعة » .

قالت : « آسفة ، ياسيدى . أعرف أن هذا صحيح جدا . ولكنى حاولت جاهدة . وفكرت أحيانا فى أننى

حاولت أن أتعلم الكثير جدا بما لا تحمله طاقتى . ولو
سمح لى بأن أتعلم أقل من ذلك قليلا ، فلربما فعلت ما هو
أفضل . »

فقال المستر جرادجرايند : « كلا ، كلا ، لا تبكى
يا چوب . أنت امرأة صغيرة رقيقة وطيبة ، ومفيدة لمسز
جرادجرايند ، ومساعدة فى الأسرة . لذا آمل فى أن
تجعلى نفسك سعيدة فى بيتنا . »

فقالت سيسى معترفة بالجميل : « شكرا عظيما لك ،
ياسيدى . » ولكنها مازالت تفكر فى أن والدها سيعود فى
يوم ما .

فى كل هذه الأثناء ، كانت لويزا تمر هادئة وصامتة .
فلما لاحظ أبوها ، مرة أخرى ، أنها صارت امرأة
صغيرة ، قال :

« يا عزيزتى لويزا . . يجب أن أتحدث معك على
أنفراد ، وفى جدية . تعالى الى فى حجرتى بعد أن تتناولى
طعام الإفطار ، غدا . فهل تسمحين بهذا ؟ »

« نعم ، يا أبت . »

قال : « يداك باردتان . فهل تشعرين بمرض ؟ »
« أنا على مايرام من الصحة ، يا أبت . »

نظرت لويزا الى أبيها مرة أخرى ، وابتسمت

بطريقتها الغريبة ، وقالت : « أنا سعيدة ومبتهجة ، مثلما اعتدت أن أكون » .

قبل المستر جرادجرايند ابنته ، وانصرف .

أطل أخوها من الباب ، وقال : « هل أنت هنا ، يا لويزا ؟ » وكان ، فى ذلك الوقت ، شابا أنيقا ، ولكنه لم يكن جذاب المنظر جدا .

نهضت لويزا من على مقعدها ، وطوقت أخاها بذراعيها ، وقالت : « يا عزيزى توم ! كم من الوقت مر ، ولم تأت لترانى ! »

قال : « كنت مشغولا فى الأمسيات ، يا لو . وبالنهار يشغلنى العجوز باوندرباى ، بالعمل . . وعلى فكرة ، هل قال لك أبونا شيئا خاصا ، يا لو ؟ »

نظر هذا الشاب الى وجه أخته بمتعة أعظم مما اعتاد أن ينظر اليها من قبل ، وطوق وسطها بذراعه وقال : « أراك مولعة جدا بى ، يا لو . . أليس كذلك ؟ »

قالت : « بلى . الواقع أننى مولعة جدا بك ، يا توم ، ولو أنك لا تأتى كثيرا لترانى » .

قال : « حسنا ، يا أختاه ! وعندما تقولين هذا ، فأنت تقتربين كثيرا من أفكارى . الواقع أنه من الممكن أن نكون معا مرات أكثر . تصنعين الكثير من الخير لى ،

ان فكرت فى أن تؤدى لى خدمة « ثم توقف عن الكلام
ونظر الى وجه أخته المفكر ، ولكنه لم يفهم منه شيئاً .
فقبلها ، فبادلته التقبيل وهى لاتزال تنظر الى الوطيس .

استطرد ثوماس الصغير ، يقول : « لا أستطيع البقاء
هنا ، الآن . لا تنسى أنك مولعة بى ! »

قالت : « لن أنسى ، يا عزيزى توم » .

انصرف توم ، ووقفت لويزا عند الشباك تنظر الى
نيران كوكتاون ، وهى تصغى الى وقع أقدام أخيها وهو
ينصرف .

الباب الخامس عشر

الأب وابنته

يوجد بحجرة المستر جرادجرايند ساعة دقاقة كبيرة ،
يمكنك سماع صوتها وهى تعمل . . جلست لويزا بجانب
النافذة قرب مائدة أبيها . فوقع بصرها على مداخن
كوكتاون العالية ، والدخان يتضاعد منها كثيفا فيملا الجو
بلون أسود يبعث على الاكتئاب .

قال الأب : « يا عزيزتى لويزا . لدى شىء بالغ
الأهمية ، أود أن أقوله لك ، كما أخبرتك فى الليلة
الماضية . . لقد تدربت وتعلمت جيدا ، ولى ثقة تامة فى
احساسك المرفه الطيب » .

انتظر الوالد أن تتكلم ابنته ، ولكنها لم تنطق بكلمة
واحدة . فقال :

« يا عزيزتى لويزا . يريد شخص ما أن يتزوجك .
وهأنتذا قد تسلمت اقتراحا بالزواج ، فماذا تقولين ؟ »

انتظر المستر جرادجرايند ، مرة أخرى ، أن ترد
ابنته على سؤاله ، ولكنها لم تجب بشىء فى هذه المرة

أيضا . فأدهش هذا أباه ، فكرر قوله : « يريد شخص أن يتزوجك ، يا عزيزتى » .

قالت : « أنا أسمعك ، يا أبى . أنا مصغية الى ما تقول » .

أحس المستر جرادجرايند بالانزعاج ، ولكنه استطرد يقبول :

« أخبرنى المستر باوندرباى ، بأنه يريد أن يقدم لك يده للزواج . وقد لاحظ تقدمك بمتعة ، وكله أمل ، طيلة وقت طويل ، أن تأتى الفرصة التى يطلب فيها يدك ، للزواج . ويأمل كثيرا فى أن تولى طلبه هذا ، اعتبارك الموافق » .

ساد السكون بين الأب وابنته . وبدأ صوت الساعة عاليا جدا ، ولاح الدخان البعيد شديد السواد وكثيفا جدا .
تكلمت لويزا ، فقالت : « يا أبتاه أعتقد أننى أحب المستر باوندرباى ؟ »

شعر المستر جرادجرايند بالقلق الشديد ، فقال :
« لا يمكننى الجزم بذلك ، يا طلفتى » .

فاستطردت لويزا ، تقول بنفس الصوت السابق :
« أى أبت ! هل تطلب منى أن أحب المستر باوندرباى ؟ »

قال : « كلا ، كلا ، يا عزيزتى لويزا ، لا أطلب منك شيئا كهذا » .

فاستأنفت لويزا كلامها ، تقول : « هل يطلب
المستر باوندرباي منى أن أحبه ؟ »

فقال الأب : « الحقيقة ، ياعزيزتى ، أنه من الصعب
الاجابة على سؤالك » .

قالت : « هل من الصعب الاجابة بنعم ، أو
لا . . يا أبى ؟ »

أجاب الوالد بقوله : « نعم ، هذا أكيد يا عزيزتى ،
لأن الرد يتوقف على المعنى الذى نسنده الى السؤال .
والآن ، أقول لك ، ان المستر باوندرباي لا يطلب منك
شيئا خياليا . وربما كان استعمال كلمة (حب) خاطئا
قليلا » .

قالت : « وبماذا تنصحنى أن أستعمل بدلا من كلمة
(حب) ، يا أبى ؟ »

قال : « يبدو لى ، يا لويزا ، أنه ما من كلمة يمكن
أن تكون أوضح منها . وموضوع الحقيقة الذى بوسعك أن
تفكرى فيه ، فى قرارة نفسك ، هو ، هل يطلب منى المستر
باوندرباي ، أن أتزوجه ؟ نعم ، هو يطلب ذلك . والسؤال
الوحيد ، الباقى بعد ذلك ، هو : هل أتزوجه ؟ لا أظن ،
ياعزيزتى لويزا ، أن هناك شيئا سيكون أوضح من ذلك » .

أخذت لويزا تكرر قولها ببطء : « هل أتزوجه ؟
هل أتزوجه ؟ »

فقال المستر جرادجرايند : « نعم ، بالضبط ، وهو مقبول بالنسبة لى ، بصفتى والدك ، ياعزيزتى لويزا . أعرف أنك لن تنظرى الى هذا السؤال بعقل وتفكير كثيرات من النساء » .

قالت : « لن أنظر اليه هكذا ، يا أبى » .

قال : « أتركك الآن لتفكرى فى هذا الأمر فى هدوء وعلى مهل » .

سحبت لويزا عينيها من على أبيها ، وجلست مدة طويلة تنظر نحو مداخل البلدة ، ثم قالت أخيرا : « يطلب منى المستر باوندرباى ، أن أتزوجه ، والسؤال الذى أسأل به نفسى ، هو هل أتزوجه ؟ »
« بالتأكيد ، ياعزيزتى » .

قالت : « ليكن هكذا . ماذا يهم ؟ فيما أن المستر باوندرباى يريد أن يتزوجنى ، فأنا موافقة على طلبه . . أخبره ، يا أبى ، فى الوقت الذى تراه ملائما ، بأن هذا هو ردى . كرره حرفا بحرف ، ان أمكنك ، لأننى أريده أن يعرف نص ما قلته » .

فقال الأب : « هذا صحيح تماما ، ياعزيزتى . ولكى أكون واقعيا ، فسأفعل ما تطلبينه . هل لك رغبات بخصوص موعد الزواج ؟ »

قالت : « كلا ، يا أبت . فما أهمية هذا ؟ »

تأثر المستر جرادجرايند بنجاحه أعظم التأثير ، وسر
سرورا بالغا ، فقال :

« أشكرك ، يا عزيزتى لويزا ، اذ عوضتني عن
عنايتي بك . والآن ، قبليني ، يا أبتى » .

قبلت لويزا أباها ، فأمسكها من يدها ، وذهبا معا
الى حجرة الجلوس . وكانت بها مسز جرادجرايند وسيسى .

فقال المستر جرادجرايند : « يامسز جرادجرايند
اسمحي لى بأن أقدم لك مسز باوندرباى » .

فقالت مسز جرادجرايند : « مرحى ! اذن ، فقد
سويت الموضوع : أتمنى أن تظل صحتك جيدة ، يا لويزا .
أتمنى ألا تمرضى مثلما مرضت أنا بعد زواجى . لابد أن
أقبلك قبلة التهئة . ولكن لا تلمسى كتفى اليمنى . أشعر
بأن هناك شيئاً يسرى خلالها ويؤلمنى طول اليوم » .

نظرت سيسى الى لويزا ، فى عجب ، وفى اشفاق ،
وفى حزن . عرفت لويزا هذا ، دون أن تنتظر مباشرة الى
سيسى . ومنذ تلك اللحظة ، ولويزا فخورة وباردة ،
وتنظر الى سيسى من بعيد . لقد تغيرت نحوها ، تماما .



قبلت لويزا أباه ، فأمسكها من يدها ،
وذهبا معا الى حجرة الجلوس . وكانت
بها مسز جرادجرايند وسيسى .

الباب السادس عشر

الزوج والزوجة

عندما سمع المستر باوندرباى بما أسعده ، ساوزه القلق من أجل مسز سيارسيت . فماذا يقول لمديرة بيته ؟ ولما جاء المساء ، قرر أن يخبرها . فاشترى زجاجة أملاح مضادة للاغماء ، احتياطاً لما اذا كان سيغنى على مسز سيارسيت . وعمل ترتيبه أن يمكن نزع سداة الزجاجة بسهولة ، اذا اقتضى الأمر استعمالها . ثم استدعى مسز سيارسيت . فلما جاءت وجلست ، قال لها :

«يامدام ! يامسز سيارسيت ! أنت من كريمات العقائل ، بمولدك وبتربيتك . كما أنك سيدة سامية الأخلاق والمشاعر» .

قالت : « ياسيدى : كثيراً ما وقرتنى بأمثال هذه العبارات الدالة على رأيك الطيب » .

قال : « يامدام ! يامسز سيارسيت ! سأخبرك بما يدهشك » .

فقالت فى هدوء : « نعم ، ياسيدى ! »

قال : « سأزوج ابنة المستر جرادجرايند » .

قالت : « أهنتك ، ياسيدى ، وأتمنى لك السعادة
يا مستر باوندرباى . الحقيقة أننى أتمنى لك السعادة من
كل قلبى ، ياسيدى » .

قالت ذلك بلهجة الاشفاق ، حتى دهش المستر
باوندرباى . فوضع السداة باحكام فى عنق الزجاجة . ثم
وضع زجاجة الأملاح فى جيبه ، وقال فى نفسه : لعنة الله
على هذه المرأة اذ تستقبل هذا النبأ بمثل هذه الطريقة .
ثم قال بصوت مرتفع : « أنا مدين لك بالشكر الجزيل ،
يا مسز سپارسيت ، وأمل فى أن أظل مدينا به » .

ابتهجت مسز سپارسيت من ذلك الاطراء والثناء ،
فقالت : « هل أنت مدين لى بالشكر ، ياسيدى ؟ من
الطبيعى أن تشكرنى .. طبعاً تشكرنى » .

مرت فترة صمت حرجة ، ظلت مسز سپارسيت خلالها
تعمل بالخياطة .

فقال المستر باوندرباى : « لا حاجة بك الى أن تتركى
خدمتى ، يامسز سپارسيت ، سأخصص لك مقرا بالمصرف
تكونين مدبرته .. سيكون لك فيه حجراتك الخاصة ،
وخادمة ترعى شئونك ، وستجدينه مريحا جدا » .

فقالت مسز سپارسيت : « لا تقل أكثر من هذا ،
ياسيدى . أنا أقبل عرضك شاكرة ، وأتمنى أن تكون الانسة
جرادجرايند هى كل ما تحتاج اليه وتستحقه » .

لم تتأثر مسز سيارسيت بذلك الموقف ، بل كانت مؤدبة ومبتهجة ولها آمال . ولكن المستر باوندرباى ، كان يعرف أنها تشفق عليه .

حدد موعد الزواج ، بأن يكون بعد ثمانية أسابيع . وأخذ المستر باوندرباى يذهب فى كل مساء الى ستون لودج ، لمجالسة لويزا ، وصنع الحب فى تلك المناسبات فى صورة هدايا ومجوهرات . وطوال مدة الخطوبة ، بدأ الحب فى مظهر صناعى . صنعت الملابس والقفازات ، والكعك . كان الموضوع حقيقة ، من أوله الى آخره ، ولم يكن به أى مظهر غرامى وبعد ذلك تزوجا فى اليوم

الجزء الثانى

المحصل

الباب الأول

أعمال المصرف

المصرف فى كوكتاون عبارة عن بيت ضخـم مبنى بالطوب الأحمر ، أكبر قليلا من بيت المستر باوندرباى . . . جلست مسز سيارسيت فى حجرتها بالمصرف ، التى كانت تستعملها بعد الظهر ، عقب انتهاء ساعات العمل . . . وكانت فى ذلك الوقت هى المسئولة عن سلامة جميع مبانى المصرف ، والخزائن بما فيها من نقود . كما كان هناك ، أيضا ، شاب يحرس خزانة حفظ الأشياء الثمينة . فأعدت الخادمة صينية الشاى لمسز سيارسيت ، أحضرها إليها ذلك الشاب بداخل الحجرة .

فقالت مسز سيارسيت : « أشكر يا بيتزر » .

فرد عليها الشاب بقوله : « شكرا ، يامدام » . وبيتزر هذا ، هو الغلام الذى عرف الحصان بمهارة فى المدرسة

منذ سنوات • ومازال أبيض الشعر والبشرة مثلما كان فى
أيام المدرسة •

سألت مسز سيارسيت ، بيتزر بقولها : « هل كل شىء
فى أمان ، يا بيتزر ؟ »

قال : « كل شىء مقفل ، يامدام » •

فقالته وهى تصب الشاى فى القدح : « ما الأخبار ،
اليوم ؟ هل من أحداث ؟ »

« أستطيع القول ، يامدام ، بأننى لم أسمع شيئاً
بعينه » •

ولما كان ذلك الوقت ، هو الفترة التى يتحدث فيها
مع مسز سيارسيت ، عن الأمور السرية ، تظاهر بأنه يرتب

« كلا • لم يكن العمل كثيراً ، يا مدام » •

قالت : « هل كان اليوم ، كثير العمل ، يابيتزر ؟ »

« كلا • لم يكن العمل كثيراً ، يا مدام » •

قالت : « بالطبع ، الكتبة أمناء ، ويعملون بجد

واخلاص » •

قال : « نعم ، يامدام • كلهم على ما يرام ، مع

الاستثناء الوحيد المعتاد » •

يقوم بيتزر بدور الجاسوس لمسز سيارسيت فى

المصرف . وفى نظير هذا العمل ، كانت تقدم له هدية فى عيد الميلاد . . وهو شاب المعى بالغ النباهة ، وشديد الخرص . وعلى يقين من أنه سوف يرتفع فى الحياة . واذ درب عقله بعناية ، لم تكن لديه أية أمور عاطفية . كل أعماله نتيجة حسابات دقيقة .

كرر بيتزر قوله مرة ثانية ، فقال : « كلهم على مايرام ، مع الاستثناء الوحيد المعتاد ، يامدام » .
فقال مسز سيارسيت ، وهى تشرب الشاى ، وتهز رأسها : « يالأسف ! »

قال : « انه المستر ثوماس ، يا مدام . أنا أرتاب كثيرا فى المستر ثوماس . لا تعجبني أساليبه بحال ما » .

فقال مسز سيارسيت بلهجة الأمر : « هل تتذكر ما قلته لك ، عن عدم ذكر أسماء ؟ »

قال : « عفوا ، يا مدام : هذا صحيح تماما . لقد مانعت فى ذكر أسماء » .

قالت : « ان قلت ، فردا ما ، استمعت اليك . أما ان قلت ، المستر ثوماس ، فينبغى لك أن تستسمحنى » .

قال : « مع استثناء فرد واحد ، يامدام » .

فقال مسز سيارسيت : « حسنا ! »

قال : « فرد واحد ، لم يسلك أبدا المسلك اللائق به . انه يتلكأ فى العمل ، وكسلان ، ويبذر نقوده » .

هزت مسز سيارسيت رأسها ، وتأوهت .
استطرد بيتزر كلامه ، فقال : « أمل ، يامدام ، فى
ألا يمدده صديقه وقريبه بالنقود ، ونحن جميعا نعرف من
جيب من تأتى النقود » .

فقال مسز سيارسيت ، مرة أخرى ، « حذار ،
يا بيتزر ! »

قال : « ينبغى لنا ، يامدام ، أن نشفق على هذا
الشخص الذى تكلمت عنه الآن » .
فقال : « نعم ، يا بيتزر . كنت أشفق عليه دائما
من أجل ذلك » .

قال بيتزر ، وقد خفض صوته واقترب منها : « ذلك
الشخص الصغير ، يبذر نقوده مثلما يبذرها أى شخص فى
هذه البلدة . وانك لتعلمين كم هم مبذرون » .
قالت : « لو حذوا حذوك ، لأحسنوا صنعا ! »

قال : « شكرا ، يا مدام . لقد أدخلت نقودا ،
والهدية التى أخذتها منك ، فى عيد الميلاد ، لم أمسها على
الاطلاق . . أنا لا أنفق كل مرتبى ، رغم ضالته . فما
يستطيع أن يعمل أى انسان ، يستطيع غيره أن يعمل » .

فقال : « نعم ، هذا صحيح ! »
قال : « أتريدين شيئا آخر ، أحضره لك ، يامدام ؟ »
قالت : « لا شىء الآن يا بيتزر ، وشكرا » .

أطل بيتزر من النافذة الى الشارع ، والتفت نحو مسز سيارسيت ، وقال :

« لا أريد ازعاجك ، وأنت تشربين الشاي ، يامدام . ولكن يوجد رجل فى الخارج . ظل ينظر الى هذا الشباك ، مدة دقيقة أو اثنتين . وأظنه سيطرق الباب الأمامى . هل تريدننى أدخله لمقابلتك ، يامدام ؟ »

قالت : « ان رأيت هذا ملائما ، يا بيتزر » .

طرق الغريب الباب ، فهبط بيتزر السلم ليفتحة له . وأزاحت مسز سيارسيت أدوات الشاي جانبا .

اجاء بيتزر ، يقول : « الرجل الغريب يريد مقابلتك ، يا سيدتى » .

كان ذلك الزائر فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره ، وأنيق المنظر .

فقالت مسز سيارسيت لهذا الزائر : « أعتقد أنك تريد التحدث الى . تفضل بالجلوس ! »

فقال : « شكرا ، ياسيدتى » . ثم سحب كرسيه لتجلس عليه مسز سيارسيت ، بينما بقى هو واقفا الى جانب المائدة ، وقال :

« معى خطاب توصية للمستر باوندرباى ، صاحب هذا المصرف » .

نظرت مسز سيارسيت الى هذا الزائر ، فأعجبها حسن
هندامه ، ووجدته ذا شعر أسود ، وعينين جريئتين ،
وصوت عذب جدا .

قال : « سألت عن الطريق الى بيت المستر باوندرباي ،
فقادنى أحد الناس الى هذا المصرف . ولكن ، من المؤكد
أن المستر باوندرباي ، لا يقيم هنا » .

قالت : « طبعا ، هو لا يقيم هنا ولكن بوسعى أن
أعطيك عنوان بيته » .

« شكرا ، ياسيدتى . خطاب التوصية الذى معى من
أحد أعضاء البرلمان ، هو مندوب كوكتاون ، واسمه المستر
جرادجرايند . التقيت به فى لندن » .

أطلع هذا الغريب ، مسنز سيارسيت على خطاب
التوصية ، فأعطته عنوان بيت المستر باوندرباي ووصفت له
كيفية الذهاب اليه .

فقال الغريب بأدب : « ألف شكر ، ياسيدتى . من
المؤكد أنك تعرفين جيدا صاحب هذا المصرف » .

قالت : « نعم ، أعرفه منذ عشر سنوات .

قال : « أظنه تزوج ابنة المستر جرادجرايند » .

قالت : « نعم » . وفجأة انكمش فمها ، واستطردت

تقول : « كان له ذلك الشرف » .

فقال الغريب : « اغفرى لى فضولى ياسيدتى أنت تعرفين تلك الأسرة ، وتعرفين العالم . هل عقيلة المستر باوندرباى بارعة الجمال ؟ وكم يبلغ عمرها ؟ هل أربعون أم خمس وثلاثون سنة ؟ »

ضحكت مسز سيارسيت ، وقالت : « لم تبلغ العشرين عندما تزوجت » .

فقال الغريب : « هل هذا حقيقى ؟ انه يدهشنى » .
ثم انحنى لها ، وخرج من الحجرة .

وقفت مسز سيارسيت خلف ستائر النافذة ولاحظت ذلك الغريب وهو يسير فى الطريق ، وقد جعل منظرة ، وحسن هندامه ، الناس ينظرون اليه .

عندما كانت مسز سيارسيت وحدها ، وهى تتناول وجبة العشاء ، قالت : « يا لك من غبى ! » فمن كانت تقصد ؟ لم توضح .

الباب الثاني

المستر جيمس هارثهاوس

الغريب الذي زار مسز سيارسيت ، اسمه جيمس هارثهاوس James Harthouse . وهو شاب من أسرة طبية ، كثير الارتحال ، ولكنه لم يستقر فى أى عمل أو مهنة . التقى ، أخيرا ، مع بعض أعضاء البرلمان فى لندن ، ومن بينهم المستر توماس جرادجرايند .

قرر المستر هارثهاوس أنه يستطيع العمل فى حزب سياسى . فقد كان ماهرا فى الخطابة ، وقوى التأثير . بوسعه أن يتلو المعلومات والحقائق ، ويتحدث جيدا الى الجموع .

أعتقد المستر جرادجرايند ، أن هذا الشاب يمكن أن يكون ذا فائدة لحزبه . لذا أعطاه خطاب توصية للمستر باوندرباى ، صاحب مصرف كوكتاون .

ما أن تسلم المستر باوندرباى خطاب هارثهاوس ، حتى نهض من مجلسه ، ولبس قبعته ، وذهب الى الفندق الذى يقيم فيه ذلك الزائر .

قال : «اسمى جوزياه باوندرباى ، من أهالى كوكتاون » .

الواقع أن مستر هارتهوس سر كثيرا بمقابلته .

فقال باوندرباي : « ليست كوكتاون ، ياسيدي ،
المكان الذي تعودته . سأخبرك شيئا عنها قبل أن نتمادي » .

شرح المستر باوندرباي ، لهذا الزائر ، أهمية المصانع
التي تبدو قدرة المنظر يلوثها الدخان . ثم قال : « ربما تعلم
أننى تزوجت ابنة توم جرادجرايند . ويسرنى أن أقدمك
اليها لو جئت معى الى البيت » .

التقى المستر هارتهوس ، فى حجرة الاستقبال بمنزل
المستر باوندرباي ، المبنى بالطوب الأحمر ، التقى بفتاة
بالغة الشهرة وهادئة ومتحفظة ، ولكنها قوية الملاحظة .
تبدو باردة ومتكبرة ، غير أنها سامية المشاعر ، جميلة
الوجه ، الا أنه عديم الملامح . تجلس شاردة الذهن .

وبينما هم يتحدثون ، سألته لويزا عن معتقداته
السياسية .

قال : « أظن ، يامسز باوندرباي ، أن أية مجموعة
من الآراء ، تأتي بفائدة طيبة كأية مجموعة آراء أخرى .
وتأتى بنفس الضرر الذى تجلبه مجموعة أخرى . ما سيكون ،
سيكون . ولكنى سأويد حزب أبيك » .

لم تأخذ لويزا فكرة طيبة عن هذا الزائر .

صحب المستر باوندرباي هذا الغريب ، لزيارة بعض

الشخصيات البارزة فى كوكتاون ، الذين يمكنهم التصويت
لحزبهم .

أعدت المائدة ، فى المساء ، لأربعة أشخاص ، بيد
أن ثلاثة فقط هم الذين جلسوا اليها .

راقب مستر هارتهوس مسز باونديراى وهى تجلس
الى رأس المائدة ، صغيرة الجسم ، رشيقة القوام ، تبدو
غير مهتمة بالحجرة ، ولا بما حولها .

فقال هارتهوس ، فى نفسه : « أما من شىء يحرك
هذا الوجه ؟ »

نعم ، هناك شىء . وهاهو ، فى شخص جاء ولم
يكن من المتوقع مجيئه . اذ جاء توم . فتغيرت ملامح
لويزا ، بمجرد أن فتح الباب ودخل . فابتسمت ابتسامة
عريضة جلوة ، وأمسكت يد توم فى يدها .

فقال الزائر فى نفسه : « هل هذا الكلب الصغير هو
المخلوق الوحيد الذى تهتم به ؟ »

وأخيرا ، نهض جيمس هارتهوس ليعود الى فندقه ،
وساوره الشك فيما اذا كان بوسعه أن يعرف الطريق اليه
ليلا . . . الا أن الكلب الصغير ، قام فى الحال ، وعرض
خدماته كدليل ، وخرج مع ذلك الضيف ليديه الطريق .

الباب الثالث

الكلب الصغير

عندما وصلا الى الفندق، قال المستر جيمس هاوستون:
« هل تدخن ؟ »

قال توم : « نعم » . وعلى هذا دعاه ذلك الغريب الى الصعود معه الى حجراته بالفندق وأعطاه كمية من التبغ الفاخر ليدخنه . كما قدم له شرابا باردا . ورغم برودته ، كان قويا جدا . فجلس توم فى مقعد بمتاكىء وأسند ظهره ، وأطرى صديقه الجديد .

قال توم : « شكرا ، يامستر هاوستون . وأرجو أن تكون قد توصلت الى ما تريد من المستر باونديرباى ، فى هذه الليلة » .

تكلم توم ، وقد أغمض احدى عينيه ، ونظر بالأخرى ، من فوق قدح الويسكى ، نظرة ذات معنى .

ابتسم المستر جيمس هارتهاموس ، ونهض من فوق مقعده ، ووقف ينظر الى توم ، وقال :



تکلم توم ، وقد أغمض إحدى عينيه ،
ونظر بالأخرى ، من فوق قذح الويسكى ،
نظرة ذات معنى .

« يالك من نسيب (١) لطيف ! »

فقال توم : « أظنك تغنى أن تقول : « ياللمستر
باوندرباي ، من نسيب لطيف ! »
فقال المستر جيمس هارتهوس : « أنت دقيق
الملاحظة ، يا توم » .

سر توم من أن صديقه خاطبه باسمه المختصر ، ولما
تمض على صداقتهما مدة طويلة ، وبمثل طريقة قدامى
الأصدقاء هذه . ولا سيما بواسطة رجل وسيم الوجه حسن
الهندام .

قال توم : « سأبدأ بالأكون مؤدبا من ناحية
العجوز باوندرباي . نحن فى وقت متأخر من هذا اليوم » .
فقال جيمس هارتهوس : « لا يهمنك وجودى . ولكن
احذر الكلام عندما تكون زوجته على مقربة منك . وأنت
تعرف ذلك » .

« زوجته ؟ أختى لو ؟ نعم » .

ضحك توم ، وشرب قليلا من الويسكى ، بينما وقف
جيمس هارتهوس ينظر اليه .

Brother-in-Law الإنجليزية تأتي بمعنى (١) كلمة

« زوج الأخت » كما تؤدى معنى : « أخو الزوجة » لذا ترجمت هنا
بمعنى « نسيب » التى تؤدى المعنيين فى العربية .

فقال توم : « لم تهتم أختى لو بذلك العجوز
باوندرباي » .

فقال جيمس هارتهوس : « لم تهتم ، تؤدي معنى
الفعل الماضي ، ونحن في الزمن الحاضر الآن ، أليس
كذلك ؟ »

فقال توم : « الفعل في الزمن الحاضر (أي المضارع)
والفاعل مفرد متكلم ، هو (أنا لا أهتم) . والفعل المضارع
والفاعل مفرد مخاطب هو (أنت لا تهتم) والفعل المضارع
والفاعل مفرد غائب هو (هو لا يهتم) هذا للمذكر ، أما
للمؤنث فهو (هي لا تهتم) » .

فقال صديقه : « حسنا ! هذا ممتع جدا . ولكنك
لا تعنيه » .

فصاح توم يقول : « ولكنني أعنيه . من المؤكد أنني
أعنيه . ولن تقول لي ، يامستر هارتهوس ، انك تظن أن
أختى لو ، تهتم بالعجوز باوندرباي » .

فقال جيمس : « يا صديقي العزيز . ماذا أظن عندما
أجد زوجين يعيشان في وئام وأنسجام وسعادة ؟ »

قال : « أنت تعرف أبي . ولا حاجة بك لأن تدهش
من أن لو تزوجت العجوز باوندرباي . لم يكن لها أي
عاشق على الاطلاق . إذ كان أبي في منتهى الصرامة .

وكان بيتنا عبارة عن سجن • فاقترح أبى عليها أن تتزوج العجوز باوندرباى • فأخذته « •

فقال المستر جيمس هارتهوس : « أختك تعرف واجبها ، مثلما هى جميلة » •

فقال الكلب الصغير : « ما كانت أختى لتعرف واجبها ، لولاى » •

ما كان من المضيف الا أن رفع حاجبيه فاضطر الكلب الصغير ، الى أن يستمر فى كلامه •

قال : « أنا حثثتها • وكانت تعمل أى شىء من أجلى • وهذا لطيف جدا منها » •

فقال هارتهوس : «عندما ذهبت الى المصرف مساء أمس لأعرف عنوان بيت المستر باوندرباى ، التقيت بسيدة عظيمة عجوز هناك ، تبدو معجبة جدا بأختك » •

فقال توم : « انها الأم سيارسيت • شعورها نحو أختى أكثر من الاعجاب ، على ما أعتقد » • ثم أغمض عينا ، وضرب باصبعه على أنفه عدة مرات ، وأردف يقول : « الأم سيارسيت ، لم تأمل اطلاقا فى أن تتزوج باوندرباى ، عندما كان أعزب • لم تأمل فى هذا أبدا » •

كان اللويسكى الذى ظل توم يشربه لفترة من الوقت ، تأثير قوى ، على قواه العقلية ، فاستغرق فى النوم •

استيقظ توم من حلم مزعج ، بركة من حذاء • ثم
سمع صوتا يقول له : « استيقظ ! نحن في وقت متأخر جدا
من الليل ، ويجب أن تنصرف » •

صحا توم من نومه ، وقال : « نعم ، يجب أن أنصرف
الآن » • الواقع ، أنه كان لا يدري ما يقول • ثم أردف
بقوله : « تبغك طيب • ولكنه خفيف » •

فقال المضيف : « نعم ، هو خفيف جدا » •

فقال توم : « خفيف جدا • • أين الباب ؟ مساء
الخير ! »

وجد توم طريقه الى البيت وهو يسير كما لو أن الجو
أمامه مشبع بالضباب ، اذ عب الكثير من ذلك الشراب
البارد •

وهكذا ذهب الكلب الصغير الى البيت والى الفراش •
ولكنه لو شعر بما فعله ، فى تلك الليلة لتوقف • • لتوقف
وأغرق نفسه فى النهر الأسود ، الذى يجرى خلال كوكتاون •

الباب الرابع

رجال واخوة

« أيا أصدقائي وزملائي المواطنين .. يا عبيد الطغيان ذى اليد الحديدية .. يا أصدقائي وزملائي .. يا من تعانون أقسى ألوان الظلم .. يا زملائي العمال ، وزملائي الرجال . أقول لكم : لقد حانت الساعة . يجب أن يلتف كل واحد منكم حول الآخر كقوة واحدة متحدة .. يجب أن نسحق في التراب أولئك الذين يحتفظون بنا عبيدا ، ويعيشون من عملنا » .

صفق الحاضرون تصفيقا حادا ، وشرب الخطيب بعض الماء من كوب ، وكانت القاعة مزدحمة وجوها حار . ثم استأنف الخطيب سلاكبريدج Slackbridge كلامه ، فقبال :

« ولكنني آسف ، يا اخواني وزملائي ! ماذا نقول لذلك العامل المنشق علينا ؟ ذلك الرجل الذى لن ينضم الينا فى حربنا من أجل الحرية والحق ؟ »
فصاح صوت يقول : « فلنستمع اليه » .
فقال سلاكبريدج : « هاهو » .

انه ستيفن بلاكيول . فصعد هذا الرجل الى المنصة
شاحب اللون وبأدى التعب .

فقال ستيفن بصوت هادىء واضح : « يا اخوانى ،
فكرت فى هذا الموضوع ، يا زملائى العمال ، وأنا أعرف
تماما أنكم ستقاطعوننى ولن تتحدثوا معى بعد ذلك .
ولكنى لا أستطيع الانضمام اليكم » .

فقال رئيس الاجتماع : « فكر فى هذا الأمر مرة
أخرى ، يا ستيفن بلاكيول ، قبل أن يتحاشاك جميع
أصدقائك وزملائك » .

ولكن ستيفن لم يستطع تغيير رأيه ، فغادر القاعة
فى صمت .

وقع ستيفن فى حياة العزلة ، بسهولة . فاذا قابله
زملاؤه ، أشاحوا بوجوههم عنه . كان ستيفن هذا ، رجلا
هادئا ، ولم يعرف كيف أننا جميعا نحتاج الى نظرة وكلمة
من غيرنا من البشر ، وكيف أن كل واحد منا بحاجة الى
التألف والتأزر مع بنى جنسه .

مرت الأيام الأربعة الأولى ، على ستيفن طوييلة
وثقيلة . لم يلتق خلالها براشيل . وتجنب كل فرصة للالتقاء
بها . . انهم الرجال ، وليسوا النساء ، الذين أمروا
بمقاطعته . ولكنه اعتقد أنه ان رؤى مع راشيل ، فربما
أساء القوم معاملتها .

ظل ستيفن هادياً وحده لمدة أربعة أيام ، لم يتحدث مع أى انسان ، ولم يتحدث معه أى انسان . ثم حدث بينما كان يغادر عمله ليلا ، أن استوقفه شاب فى الشارع، وقال له: « هل اسمك بلاكيول ؟ » وكان ذلك الشاب ذا بشرة زاهية جدا حتى لتحسبها بيضاء ناصعة .

فقال ستيفن : « نعم ! »

ذلك الشاب هو بيتزر . فقال لستيفن : « هل أنت اليد ، الذى يريد العمال جميعا ، ألا يتحدثوا معه ؟ »

فأجاب ستيفن يقول ، مرة أخرى : « نعم ! »

قال : « يريد المستر باوندرباى أن يتكلم معك . وأنت تعرف بيته » .

استدار ستيفن ، ويمم شطر بيت المستر باوندرباى ، الكبير والمبنى بالطوب الأحمر .

الباب الخامس

الرجال والرؤساء

ذهب ستيفن لمقابلة المستر باوندرباى ، الذى كان بحجرة الاستقبال ، فى بيته . وكانت الأسرة ، وقتذاك ، تتناول الشاى . وكان هناك زوجة المستر باوندرباى ، صغيرة السن ، وأخوها ، وشاب جميل أنيق ، من لندن .

وقف ستيفن عند الباب ، بأدب ، ممسكا قبعته فى يده ، وقال :

« فيم تريد أن تتحدث الى ، يا سيدى ؟ »

فقال المستر باوندرباى : « أخبرنى عن نفسك ، وعن اتحاد العمال ذاك » .

فأجاب ستيفن بقوله : « عفوا يا سيدى . ليس لدى ما أقوله عنه » .

استشاط المستر باوندرباى غضبا ، وثار وصار مثل الريح التى أن وقف فى طريقها شىء ، هبت عليه وقهرته .

فقال المستر باوندرباى : « ياهارتهوس ! هاهى عينة منهم . فعندما كان هذا الرجل هنا ، ذات مرة ، قبل الآن ،

أخبرته بأنه يسير فى الاتجاه الخطأ . وحذرتة من صانعى
الشغب . وهاهو الآن خائف أن يتكلم عنهم » .

فقال ستيفن : « قلت انه ليس لى ما أقوله عنهم ،
يا سيدى . ولم أقل اننى خائف أن أتكلم »

زاد غضب المستر باوندرىباى شيئاً فشيئاً ، فقال :
« هنا رجل من لندن ، وأريده أن يسمع المناقشة بيننا .
فمم تشكو ؟ »

قال ستيفن : « لم آت الى هنا لأشكو ، يا سيدى ، بل
جئت لأننى استدعيت » .

فقال المستر باوندرىباى ، وقد وضع ذراعيه على
صدره : « هل تشكون بطريقة عامة ، أيها الناس ؟ »

تردد ستيفن ، لحظة ، ثم قال : « انظر حول هذه
البلدة ، ياسيدى . يجب على الناس أن يعملوا بجد منذ
الطفولة الى الشيخوخة ، بدون أى تغيير . . انظر كيف
تتحدث عنا ، وتقول دائماً اننا مخطئون . هنا شىء خطأ .
خطأ تماماً » .

فقال المستر باوندرىباى : « طبعا ، هو كذلك . والآن ،
ربما أمكنك أن تخبر هذا السيد بما ستعمله لتصحيح
الخطأ » .

قال : « لست أعرف ، ياسيدى » .

- فقال المستر باوندرباي : « سأخبرك بشيء يساعدك .
- سنقبض على ستة خطباء من أمثال سلاكبريدج » .
- هز ستيفن رأسه بجدية .

فقال المستر باوندرباي ، وهو يصيح كالريح العاصفة :
« لا تقل اننا لن نستطيع القبض عليهم ، لأننا سنفعل هذا .
أكيـدا » .

أشارت لويزا الى ستيفن لكي يذهب نحو الباب ،
ولكنه لم يكن سريعا بما فيه الكفاية .

فقال المستر باوندرباي ، وقد اشتدت حمرة وجهه : « قف لحظة ، يا ستيفن . أخبرتك ، فى المرة الأخيرة ، التى كنت فيها هنا ، ومعك شكوى . أخبرتك برأى . والآن أجـدك سييء الطباع . فحتى زملاؤك العمال ، لا يتحدثون معك الآن . لم أفكر ، قط ، فى أن أولئك الأشخاص يمكن أن يكونوا على حق فى أى شيء . ولكنى أتفق معهم الآن . ولن تكون لى بك أية صلة » .

رفع ستيفن عينيه ، بسرعة ، الى وجه المستر باوندرباي .

فقال المستر باوندرباي : « يمكنك أن تنهى العمل الذى تقوم به ، ثم تذهب الى أى مكان آخر » .

فقال ستيفن : « أنت تعرف جيدا ، ياسيدى ، أننى

ان لم أعمل عندك ، فلن يكون بوسعي أن أجد عملا في أى مكان آخر » .

فأجاب المستر باوندرباى ، بقوله : « ما أعرفه أعرفه . وما تعرفه أنت تعرفه . ولن أقول شيئا عن هذا الموضوع بعد الآن » .

نظر ستيفن بسرعة الى لويزا ، ولكن عينيها كانتا تنظران الى أسفل نحو الأرض . فانصرف ستيفن وهو يئن ، وقال بصوت منخفض :

« فلتساعدنا السماء ، جميعا ، فى هذا العالم » .

الباب السادس

الرحيل

عندما خرج ستيفن من عند المستر باوندرباي كان الظلام قد خيم على الكون ولفه فى غلالة سوداء ، فسمع خلفه وقع أقدام يعرفها ، فاستدار فأبصر راشيل ومعها المرأة العجوز التى رآها قبل ذلك عندما زار المستر باوندرباي . فدهش لرؤيتها مرة أخرى .

سار ستيفن مع راشيل وتلك المرأة نحو البلدة . وفى أثناء الطريق ، قالت المرأة العجوز انها سمعت عن زواج المستر باوندرباي ، وانها لتحب كثيرا أن ترى زوجته . غير أن المستر باوندرباي لم يخرج من منزله ، لذا سألت راشيل عن منظر تلك الزوجة .

فقال ستيفن : « أنا أخبرك ، فقد رأيتها منذ لحظة . هى صغيرة السن وجميلة ، ذات عينين سوداوين مفكرتين وجذابتين ، وأخلاقها هادئة .

سألت راشيل تقول بلهفة : « هل تركت العمل ، يا ستيفن ؟ »

قال : « يا راشيل ، سواء تركت عمل المستر باوندرباى أو أن عمله هو الذى تركنى ، فهذان سيان . لقد افترقت أنا وعمله . وربما كانت هذه الطريقة أفضل . فلو بقيت هناك ، لجلب بقائى متاعب فوق متاعب . ولكن يجب أن أغادر كوكتاون ، الآن ، ثم أبدأ من جديد » .

فقالت راشيل : « الى أين ستذهب ، ياستيفن ؟ »
« لست أدرى ، وسأفكر فى هذا الأمر » .

استمر الثلاثة يسيرون نحو بيت ستيفن ، فلما اقتربوا منه ، قال ستيفن للمرأة العجوز : « هل تتفضلين بالمجئ الى بيتى ، وتتناولين قدحا من الشاى ؟ وكذلك تأتى راشيل . وبعد ذلك أوصلك الى مساكن السياح . . سيمر وقت طويل قبل أن ألتقى بك مرة أخرى ، ياراشيل » .

وافقت المرأة ، فذهبوا جميعا الى حيث يقيم ستيفن . رأى ستيفن ، بارتياح ، أن شباك حجرته مفتوح كما تركه ، ولا أحد بالحجرة . . انصرفت منذ شهر زوجته التى كانت عفريت حياته الشرير ، وأخذت معها بعض ممتلكاته ، ولم يسمع عنها منذ ذلك الوقت . ولكنه كان يخاف ، دائما ، أن تعود .

تناول هؤلاء الثلاثة الشاى معا ، وأخبرته المرأة العجوز أن اسمها مسز پجلر Pegler ، وأنها أرملة ، ولها ابن واحد ، ولكنها فقدته .

صعدت صاحبة بيت ستيفن ، فجأة ، واستدعته الى
الباب ، وأخبرته بأن مسز باوندرباى تريد زيارته .
فبدا الخوف عندئذ على وجه المرأة العجوز ، وانزوت
فى أحد أركان الحجرة حيث لا يلاحظ وجودها أحد .
هبط ستيفن السلم ، وعاد بعد لحظات مع لويزا ،
وكان يتبعها أخوها توم .

نهضت راشيل فى معطفها وهى ممسكة قبعتها فى
يدها . وقد دهش ستيفن لهذه الزيارة . فوضع الشمعة
على المائدة ، ووقف ينتظر أن تتكلم لويزا .

لأول مرة ، فى حياة لويزا ، تذهب الى بيت أحد
عمال كوكتاون . ولأول مرة فى حياتها ، تلتقى بهم وجها
لوجه . كانت تعلم فقط بوجودهم ، بالمئات وبالآلوف .
فوقفت لبضع لحظات تنظر حوالى الحجرة . فلاحظت قلة
المقاعد ، والكتب القليلة ، والسرير والمائدة .

نظرت لويزا الى المرأتين والى ستيفن ، وقالت اليه:
« جئت الى هنا بسبب ما حدث بعد ظهر هذا اليوم ،
وأحب أن أساعدك ، ان سمحت لى . ماذا ستفعل الآن ؟ »

قال : « سأغادر هذه البلدة ، يامدام ، وأجرب
غيرها » .

قالت : « وكيف ستسافر ؟ »

« على قدمي ، يا سيدتي الرحيمة ، على قدمي » .
تغير لون لويزا ، وظهر كيس نقود في يدها ، فأخذت
منه ورقة مالية ووضعتها على المائدة وقالت :

« هل تتفضلين ، يراشيل ، بأن تخبريه بأن هذه
الورقة له لتساعده في سفره ؟ وهل تتفضلين برجائه أن
يأخذها ؟ »

فقالت راشيل : « لا يمكنني أن أفعل هذا ، يا سيدتي
الصغيرة . وليباركك الرب نظير تفكيرك فيه . ولكن قبول
هذه الورقة يرجع اليه هو نفسه . عليه أن يفعل ما يعتقد
صوابا » .

فقال ستيفن : « شكرا لك ، يامدام . سأخذ جنيهين
فقط ، بصفة قرض ، وسأردهما ثانية » .
استعادت لويزا الورقة المالية ، ووضعت مكانها جنيهين
ذهبيين .

في تلك الأثناء كان توم جالسا على السرير يهز
أحدى ساقيه ، وينظر الى ما يجري بدون اهتمام . فلما
رأى أخته تستعد للانصراف ، نهض بسرعة وقال :

« انتظري لحظة ، يا لو . أريد أن أتحدث مع
ستيفن ، اذ طراً على بالي أمر ، الآن . وان صحبتني
الى الخارج ، يا بلاكيول ، فسأقوله لك » .



نظرت لويزا الى المرأتين والى ستيفن وقالت
اليه : « جئت الى هنا بسبب ما حدث بعد
ظهر هذا اليوم ، وأحب أن أساعدك » .

تبع ستيفن توم ، فأغلق هذا الأخير باب الحجرة وراءهما ، وقال هامسا : « أعتقد أن بوسعى مساعدتك » .
وقعت أنفاس توم كالنار على أذن ستيفن ، اذ كانت ساخنة .

قال توم : « متى سترحل ؟ »

فقال ستيفن ، وهو يحسب : « اليوم الاثنين ، اذا ، فسأرحل يوم الجمعة أو السبت » .

فقال توم : « يوم الجمعة أو السبت . . انك تعرف الشاب الذى فى المصرف ، ذلك الذى جاءك بالرسالة اليوم » .

قال : « نعم ، أعرفه » .

فقال توم : « حسنا جدا . عندما تترك المصنع مساء ، فى كل ليلة حتى ترحل ، اذهب الى المصرف ، وانتظر خارجه لمدة ساعة أو نحوها . قد ترى ذلك الشخص فى النافذة ، ولكنه لن يخرج ليتحدث اليك الا اذا وجدت أن بوسعى مساعدتك . فان أمكننى مساعدتك ، خرج اليك ذلك الشاب ، أو ترك لك مذكرة أو رسالة . هل أنت متأكد من أنك فهمت ؟ »

فقال ستيفن : « نعم ، فهمت ، ياسيدى » . ثم راجعا الى الحجرة ، الى الآخرين .

بعد انصراف توم ولويزا ، صحب ستيفن وراشيل مسز
يجلر الى مسكنها . وقد أعجبت هذه الأخيرة بمسز
باوندرباي غاية الاعجاب . وبكت لكونها فتاة جميلة .

سار ستيفن وراشيل نحو ناصية الشارع الذى تقيم فيه
راشيل . وعند اقترابهما منه ، نزل عليهما سكوت تام ثم
توقفا وهما لايزالان صامتين ، كما لو كان كل منهما خائفا
أن يتكلم .

وأخيرا قال ستيفن : « يا راشيل ، سأحاول أن أراك ،
مرة أخرى ، قبل رحيلى . ولكن اذا لم » .

قالت : « لن ترانى . أنا أعرف ذلك . من الخير أن
يكون كل واحد منا صريحا مع الآخر . اكتب الى وأخبرنى
بكل ما يحدث ، يا ستيفن » .

« نعم ، سأكتب اليك يا راشيل ، وليكن الله معك ،
وليباركك ويجازيك ويثيبك » .

« عسى أن يبارك الرب جميع تجوالاتك ، يا ستيفن .
وليمنحك السلم والراحة أخيرا . وليباركك الله ، ومساء
الخير » .

لم يكن هذا سوى وداع سريع فى الشارع ، ولكنه كان
ذكرى مقدسة لدى هذين الشخصين العاديين .

عمل ستيفن ، فى المصنع ، فى اليوم التالى والذى

يليه . وما من أحد من العمال تكلم معه . وكان في كل ليلة يذهب الى المصرف ويقف خارجه أكثر من ساعة . ولم يتصل به أحد ، ولم يحدث أى شىء سواء كان طيبا أو رديئا .

قرر ستيفن ، فى الليلة الثالثة والأخيرة ، أن يبقى خارج المصرف لمدة ساعتين . فبدت هاتان الساعتان دهرا . كان يعرف أن مديرة بيت المستر باوندرباى وهى جالسة عند نافذتها بالطابق الأول . وأن رسول المصرف جاء الى تلك النافذة ، مرة أو مرتين . وجاء مرة الى الباب الأمامى ، ولكنه لم يقل شيئا لستيفن .

وأخيرا ، ذهب ستيفن الى بيته ، وودع صاحبة البيت ، وذهب الى الفراش مبكرا ، ورغب فى مغادرة البلدة مبكرا ، قبل أن يكون العمال الآخرون فى الشارع الذى يسير فيه .

عندما بزغ النهار ، ألقى ستيفن نظرة حول حجرته ، لآخر مرة ، ثم غادر البيت .

كانت الشوارع خالية من الناس ، لم يبصر فيها أى مار ، كما لو أن سكان البلدة قد هجروها ، لأنهم لا يريدون أن يتحدثوا معه . . . فصعد فى التل . وعندئذ ارتفعت الشمس فى السماء بعيدا عن الأفق ، وأخذت الحياة تدب فى البلدة .

من الغريب أن يتحول ما اعتاد ستيفن رؤيته ، من
المداخن العالية ذوات الدخان الكثيف ، الى الطيور تشقشق
وتزقزق على أفنان الأشجار . ومن الغريب ، أيضا ، أن
يعلق تراب الشوارع بقدميه بدلا من تراب الفحم . ومن
الغريب كذلك أن يقضى حياته فى تلك البلدة ، ثم يرحل
عنها ليبدأ حياة أخرى من جديد ، فى هذا الصباح من
الصيف .

سار ستيفن فى الطريق ، وهذه الأفكار تدور فى
خلده ، وهو يحمل صرته تحت ذراعه ، تظله الأشجار
وتهمس اليه بأنه ترك وراءه قلبا محبا .

الباب السابع

البارود

أخذ المستر هارتهاموس يفكر فى لويزا، وكيف انفرجت أساريها ، وهش وجهها وبش ، وابتسمت ابتسامة جميلة لمجرد رؤية أخيها ، ذلك الكلب الصغير ، وسيكون احساسا جديدا ، أن تغير ذلك الوجه من أجله هو ، جيمس هارتهاموس .

كان المستر هارتهاموس سريع الملاحظة، قوى الذاكرة . لم ينس أى كلمة مما قاله توم عن أخته لويزا . ولكن الحقيقة أنه لم يفهم الجزء الأفضل من أخلاق لويزا . فالعمق لا يستجيب الا للعمق . ورغم هذا ، أخذ يقرأ بقيته فى عينى الطالب المتعلم .

عندما تزوج المستر باوندرباى ، اشترى منزلا يبعد عن البلدة بحوالى أربعة وعشرين كيلو مترا ، وعن أقرب محطة سكة حديدية بكيلو متر واحد أو اثنين . وكثيرا ما كان المستر هارتهاموس يعيش الآن مع أسرة باوندرباى ، فى المنزل الريفى ، عندما ينتقل فى تلك المنطقة ، يعمل من أجل حزبه السياسى . وكثيرا ما كان المستر باوندرباى

يفخر أمام جميع معارفه بأنه لا يهتم فيما يختص بذوى العلاقات السياسية ، أمثال المستر چيمس هارتهوس . ولكنه يقول ، ان اهتمت بهم زوجته ، رحبوا بصحبتها . وذات يوم ، جلست لويزا وحدها فى الحديقة ، والجو هادىء هناك وسط الأشجار . وقد اعتادت أن تجلس فى الحديقة ، تلاحظ أوراق السنة الماضية وهى تسقط ، مثلما كانت تلاحظ رماد النار فى بيت طفولتها .

جاء المستر هارتهوس الى حيث تجلس مسز باوندرباى ، وقال : « يسرنى ، يامسز باوندرباى ، أن أجدك وحدك ، لأننى أريد أن أتحدث معك فى موضوع خاص بك » .

جلس هارتهوس الى جانب لويزا ، ينظر الى وجهها الجميل ، وقال :

« أخوك توم . صديقى الصغير توم » .
ما ان سمعت لويزا اسم أخيها توم ، حتى انفرجت أسارير وجهها . ونظرت الى هارتهوس باهتمام . ففكر يقول لنفسه : « لم أر فى حياتى شيئاً جذاباً مثل هذا الوجه عندما تنفرج أساريره » .

أدرك هارتهوس أن لويزا لاحظت اعجابه ، فقال :
« عفوا ، ياسيدتى ! ملامح محبتك الأخوية جميلة جدا ، يجب أن يفخر بها توم » .

قالت : « يامستر هارتهوس • اننى لأوقرك من أجل
محبتك لأخى » •

فاستطرد يقول بلهجة ألطف : « يامسر باوندرباى ،
أخوك توم ، مازال صغيرا ، وليس ذنبا كبيرا أن يبذر
نقوده » •

قالت : « هذا صحيح » •

قال : « اسمح لى ، يا مسر باوندرباى ، بأن أكون
صريحا • أتظنينه يراهن ؟ »

قالت : « نعم ، أظنه يراهن - وأعلم ذلك » •

قال : « وبالطبع ، يخسر ! »

قالت : « نعم » •

قال : « كل من يراهن يخسر • وهل لى أن أقول
إنك ربما أعطيته نقودا ، فى بعض الأحيان ؟ »

جلست لويزا تنظر الى أسفل ، ولكن عندما سمعت
هذا السؤال ، رفعت عينيها ذعرا •

فقال هارتهوس : « أريد مساعدة توم » •

قالت : « يامستر هارتهوس ! أنا لا أندم على أى
شء فعلته • فعندما تزوجت ، وجدت أخى مثقلا بالديون •
فبعت بعضا من مجوهراتى وأعطيته النقود • ولكنه يحتاج

الآن الى مبالغ أكبر ، لا يمكننى أن أعطيه اياها . .
احتفظت بهذا سرا ، حتى الآن . وانى لأثق فى شرفك « .
فقال المستر هارتهوس ان ذلك لم يكن خطأ أخيها ،
اذ كان تعليمه صارما ، ثم أردف يقول :

« اننى لألومه على شىء واحد : هو أن يكون أكثر
رقة معك ، وأكثر اعترافا بالجميل » .

عندما سمعت لويزا هذا الكلام ، لاح أمام عينيها منظر
الغابات ، اذ امتلأت عيناها بالدموع ، خرجت من مآقيها
العميقة حيث ظلت خافية لمدة طويلة . وكان قلبها مفعما
بالألم الحاد . الا أن هذا الألم لم يجد شفاء فى الدموع .

فقال هارتهوس : « سأفعل كل ما فى مقدورى لتغيير
هذا ، يامسز باوندرباي . وهأنذا أرى أخاك قادما الى
الحديقة ، نحونا » .

نهض جيمس هارتهوس ، كما نهضت لويزا ، لملاقاة
الكلب الصغير ، وكان فى حالة نفسية بالغة السوء . فلما
وصلوا ، جميعا ، الى البيت ، تركتهما لويزا .

سأل هارتهوس ، توم بقوله : « ما الخطب ياعزيزى
توم ؟ »

قال وهو يتأوه : « آه ، يامسستر هارتهوس . أنا
بحاجة فظيعة الى نقود ، وقلق جدا من أجلها » .

قال هارتهوس : « وكذلك أنا ، يا صديقي الطيب » .

فقال توم : « أنت ؟ انك بخير ، يامستر هارتهوس .
أما أنا ففي مأزق حرج . ليس لديك أية فكرة عن الحالة
التي أوقعت نفسي فيها . لكن ، بوسع أختي أن تخرجني
منها ، وتنتشلني ، ان فعلت » .

قال : « انك لتتوقع الكثير من أختك ، يا توم . لقد
حصلت منها على نقود ، قبل الآن ، أيها الكلب ، وأنت
تعرف ذلك » .

قال وهو يكاد يبكي : « أعرف أنني أخذت منها
نقودا . . فالى من أذهب للحصول على نقود ؟ »

فقال هارتهوس : « ولكن يا عزيزي توم ، ان لم
يكن لدى أختك » .

فأجاب توم بقوله : « يجب أن تحضرها . لم تتزوج
العجوز باوندرباي من أجل خاطرها . بل من أجل خاطرى
أنا . يجب أن تكون أكثر رفقا معه . . انها تجلس معه
كقطعة من الحجر . بوسعها أن تجعل نفسها مقبولة وتأخذ
منه كل ما تريده من نقود » .

كان بأسفل المكان الذى يقفان فيه ، بركة ماء للزينة .
وكانت لدى المستر چيمس هارتهوس رغبة قوية فى أن
يقذف فيها توم جرادا جريند الصغير . ولكنه استمر
يتكلم باللين .

قال هارتهوس : « ياعزيزى توم ، دعنى أكون صاحب مصرفك » .

فقال توم ، فجأة ، وقد امتنع لونه : « من أجل خاطر الله ، يامستر هارتهوس ، لا تتكلم عن المصارف » .

فقال هارتهوس : « كم تحتاج الآن ، يا توم ؟ ثلاثة أرقام ؟ قل كم تحتاج » .

قال توم ، وهو يبكى : «الواقع ، يامستر هارتهوس ، أنه فات الأوان . ليس للنقود أية فائدة لى ، الآن . كان يجب أن أحصل عليها قبل الآن . ولكنى شاكر لك جدا . انك صديق حميم ، وكم أتمنى لو أننى عرفتك من قبل » .

قال : « يا توم ! يجب أن تكون أكثر محبة ولطافة حيال أختك » .

قال : « سأكون كذلك ، يا مستر هارتهوس » .
فقال هارتهوس : « ما من وقت مثل الوقت الحاضر ، يا توم . أبدا فورا » .

عندما ظهر توم عند العشاء ، قال لأخته : « لم أقصد أن أكون ثقيلًا ، يا لو » . ومد إليها يده وقبلها ، ثم استطرد يقول : « أعرف أنك مولعة بى ، وتعرفين أننى مولع بك » .

ابتسمت لويزا ، فى ذلك اليوم ، لشخص آخر .
للأسف ، لشخص آخر .

الباب الثامن

الانفجار

فى اليوم التالى ركب المستر جيمس هارتهاموس حصانه وأخذ يطوف فى أرجاء تلك المنطقه ، يزور الناس الذين يصوتون لحزبه . فلما رجع فى الساعه السادسه مساء ، اندفع نحوه فجأة المستر باوندرباى ، فجفل حصانه .

صاح المستر باوندرباى ، يقول : « يا هارتهاموس ! هل سمعت ؟ »

فقال هارتهاموس : « سمعت ماذا ؟ » وهذا حصانه وربطه جانبا .

وقف المستر باوندرباى ثائرا عابس الأسارير وقال : « لقد سرق المصرف » .

قال : « لا بد أنك تقصد شيئا غير هذا » .

فقال باوندرباى : « سرق فى الليله الماضيه ، يا سيدى . سرق بطريقه غير عاديه . سرق بمفتاح مصطنع » .

« وهل سرق مبلغ كبير ؟ »

« ليس كبيرا جدا . الا أنه كان من الممكن سرقة

مبلغ كبير » .

« كم ؟ »

فقال المستر باوندرباى : « ليس أكثر من مائة وخمسين جنيها . ولكن المهم ليس هو المبلغ . المهم هو الحقيقة . سرق المصرف . هذا هو المهم . يدهشنى أنك لم تفهم ذلك » .

جاء اليهما : لويزا ، ومسز سيارسيت ، وبيترز . فقال المستر باوندرباى : « تعرف زوجتى جيدا ، ماذا كان يمكن أن يحدث ، فلما سمعت أغمى عليها » . مازالت لويزا تبدو ضعيفة وشاحبة اللون . فطلب منها المستر جيمس هارتهوس أن تمسك ذراعه ، ثم أخذها يسيران ببطء .

مازال المستر باوندرباى متكدرا ، فقال : « سأخبركم كيف حدثت السرقة . هل تعرف مسز سيرايت ؟ » فأجاب جيمس هارتهوس بقوله : « سبق أن نلت شرف معرفتها » .

« و هل تعرف ذلك الشاب بيتزر ، وتعرف أن كليهما يعيش فى المصرف ؟ فعند نهاية العمل ، مساء أمس ، وضع كل شىء كالمعتاد . ونام ذلك الشاب خارج غرفة الخزانة . كما أن هناك خزانة صغيرة فى الحجرة التى يعمل بها توم . وتستعمل للمبالغ البسيطة . كان بها مائة وخمسون جنيها .



• ما زالت لويزا تبدو ضعيفة وشاحبة اللون .
فطلب منها المستر جيمس هارتهوس أن تمسك
ذراعه ، ثم أخذها يسيران ببطء .

فقال بيتزر : « مائة وأربعة وخمسون » .

فقال المستر باوندرباى : « لا تقطع على القول ،
يابيتزر . يكفى أن سرق المصرف وأنت نائم . سأستمر فى
كلامى . وضع توم ذلك المبلغ فى الخزانة وأقفلها . وهى
ليست خزانة قوية جدا . وعندما انصرف توم ، كان كل
شئ على ما يرام . وفى أثناء الليل ، وبيتزر نائم ، ذهب
شخص ما الى خزانة توم . لابد أنه - أو أنهم - كانوا
مختبئين فى البيت ، أو دخلوه بطريقة ما . ففتحوا خزانة
توم الصغير عنوة ، وأخذوا ما فيها ، وخرجوا من البيت ،
من الباب الرئيسى . وكان الباب موصدا بالقفل . ولكنهم
استخدموا مفتاحا مصطنعا ، عثر عليه ، فيما بعد ، فى
الشارع بقرب المصرف فى حوالى الساعة الثانية عشرة . .
فعندما فتح بيتزر المكاتب ، فى هذا الصباح ، لاحظ خزانة
توم . كان الباب نصف مفتوح ، والقفل مكسورا ، والنقود
غير موجودة » .

تطلع المستر هارتهاموس حوالىيه ، وقال : « أين
توم ، الآن ؟ »

فقال بيتزر : « انه يساعد البوليس . وهو الآن
بالمصرف » .

فقال هارتهاموس : « وهل اشتبه فى أى شخص ؟ »

كاد المستر باوندرباى ينفجر غضبا ، وقال : « قد يكون اللص يدا من المصنع » .

فقال هارتهوس ، فى هدوء : « آمل فى ألا يكون صديقنا بلاكيول » .

فقال المستر باوندرباى : « قل يول ، (أى بركة) بدلا من قدر ، ياسيدى . انه ذلك الرجل ستيفن بلاكيول ، هو المشتبه فيه » .

أطلقت لويزا صوت دهشة ضعيفا . فنظر المستر باوندرباى الى هارتهوس ، وقال : « هل تذكر ماقلته له عندما رأيته معى . أخبرته بما أعتقده فى سلوكه . أنا أصرح ، دائما ، بما يجول بفكرى . أعرف أولئك الأيدى . لقد اختلفى بعد ذلك بثلاثة أيام ، ولا أحد يعرف أين ذهب . وماذا فعل قبل أن يرحل ؟ شوهد ليلة بعد ليلة خارج المصرف ، يراقبه » .

فقال چيمس هارتهوس : « هذا أمر يدعو الى الريبة ، بكل تأكيد » .

فقال المستر باوندرباى : « هذا هو نفس اعتقادى . ولكن هناك أكثر من واحد . هناك سيدة عجوز ، يبدو أنها قدمت الى البلدة فى زيارة طارئة . وهى تراقب المصرف ، أيضا . التقت به فى الليلة التى رأيت فيها بلاكيول بمنزلى » .

تذكرت لويزا ، أنه كان بمنزل ستيفن بلاكيول ، فى تلك الليلة ، امرأة عجوز ، توارت فى ركن مظلم بالحجرة دون أن تتكلم .

فقال هارتهوس : « لا شك فى أنهم سيعاقبون جميعا عندما يعثر عليهم » .

بعد ذلك ، دعا المستر باوندرباى ، مسز سيارسيت لتمكث معهم مدة يوم أو يومين ، اذ أزعتها كثيرا ، سرقة المصرف هذه .

بعد العشاء ، تناقش المستر باوندرباى ، فى حجرة الاستقبال ، فى موضوع السرقة ثم أرسل بيتزر ثانية الى المصرف يحمل رسالة الى توم كى يأتى اليهم بأخر قطار فى تلك الليلة .

فيما بعد ذلك ، حثت مسز سيارسيت ، المستر باوندرباى على أن يجلس الى مائدة ، ويلعب معها لعبة الحظ فجلسا بجانب شباك يطل على الحديقة . وكان مساء لطيفا ، وكانت لويزا تسير مع هارتهوس فى الحديقة ، وكان بالامكان سماع صوتيهما فى ذلك الجو الهادىء ، ولكن ليس نص الكلام . استمرت مسز سيارسيت تنظر الى الحديقة بينما يظلم الجو شيئا فشيئا .

فقال المستر باوندرباى : « ما الخطب ، يامدام ؟ هل ترين حريقا ؟ » .

قالت : « لا ، ياسيدى . . كنت أفكر فى هواء الليل البارد ، وأخشى أن تصاب الأنسة جرادجرايند بالبرد » وكانت تقصد لويزا .

فقال المستر باوندرباى : « انها لا تصاب بالبرد أبدا » .
بعد مدة طويلة من ذهاب لويزا الى الفراش ، فى تلك الليلة ، انتظرت قدوم أخيها ، وأخذت تنصت وهى تعرف أنه لن يأتى الا بعد منتصف الليل . فلما سمعت وقع أقدامه ، عرفت أنه جاء ، فذهبت الى حجرتة .

كان باب الحجرة مقفلا ، ففتحت يرفق ، وتحدثت اليه .
ثم سجدت الى جانب سريره ، وجذبت وجهه نحوها وهى تعرف أنه لم يكن نائما . فتظاهر بأنه صحا لتوه ، وسألها ما الخطب .

قالت : « يا توم . الديك ما تحدثنى به ؟ ان كنت قد أحببتنى فى حياتك ، ولديك ما تخفيه عن كل انسان غيرى ، فبح به الى » .

قال : « لا أعرف ما تقصدين ، يا لو . انك تحلمين » .
لم يخبر توم أخته بشيء ، ولكنه بكى بعد أن انصرفت .

الباب التاسع

سماعها لآخر مرة

ما زالت مسز سيارسيت تقيم مع أسرة باوندرباى . كانت مؤدبة جدا ولطيفة مع المستر باوندرباى ، وقدر هو لها هذا المسلك ، فصار رقيقا مع مسز سيارسيت أكثر من ذى قبل ، وأقسى مع كل من عداها ، ابتداء من زوجته فمن دونها .

وذات صباح ، قالت مسز سيارسيت ، بطيبة قلب :
« أراك تنتظر طعام افطارك ، يامستر باوندرباى ، وأتوقع مجيء زوجتك الى هنا ، بسرعة ، لتهتم بك » .

قال : « لو انتظرت زوجتى لكى تهتم بى ، يامدام ، لانتظرت الى الأبد . ربما يمكنك اعداد ابريق الشاى » .

نفذت مسز سيارسيت ، ما طلبه المستر باوندرباى ، ثم اتخذت مكانها القديم الذى اعتادته عند المائدة ، عندما كانت مدبرة بيته قبل أن يتزوج .

بعد مرور مدة ، من ذلك اليوم ، جاء بيتزر يحمل مذكرة تخبر لويزا بأن أمها مريضة جدا . لم تكن صحة

والدتها طيبة ، أبدا . وساعت الآن كثيرا . فذهبت لويزا ،
على الفور ، الى بيتها القديم ، لتري أمها .

ذهبت لويزا ، والحزن يملاً نفسها ، الى البيت ،
الى حجرة أمها . ومنذ أن تركت لويزا ذلك البيت ، عاشت
سيسى چوب مع بقية الأسرة ، على قدم المساواة . فوجدتها
لويزا جالسة الى جانب سرير الأم المريضة .

قالت الأم بضعف : « أرجو ، ياعزيزتى ، أن تكونى
فى أحسن حال ، فى حياتك . كان زواجك كله من فعل
أبيك . هو الذى أصر عليه ، ويجب أن يعترف ذلك » .

فقالت لويزا : « أريد أن أسمع عنك ، يا أماه وليس
عن نفسى » .

فقالت الأم : « لست بحال جيدة ، يا لويزا . أنا
ضعيفة جدا » .

« هل تشعرين بألم ، يا أمى العزيزة ؟ »

قالت : « أظن هناك ألما فى موضع ما بالحجرة .
ولكنى لست متأكدة من أن الألم بى » . ثم صمتت لحظة
وأردفت تقول : « يا فتاتى الطيبة سيسى ، اتركينى وحدى
لمدة دقيقة » . فغادرت سيسى الحجرة .

فقالت لويزا : « هل تريدين التحدث معى ، يا أماه ؟ »

« نعم . . تعرفين أن أباك فى لندن . يجب أن أكتب له عنه » .

« عن ماذا ، يا أماه ؟ »

قالت : « لقد علمك أبوك ، وعلم أخاك ، أشياء كثيرة ، أكثر مما أستطيع فهمه . ولكن هناك شيئاً نسيه أبوك ، يالويزا . لست أدري ماهو . وكثيرا ما جلست ، وسيسى قريبة منى ، وفكرت فى ذلك الشيء . ولكنى لم أعرف اسمه حتى الآن . أما أبوك فقد يعرفه . أريد أن أكتب اليه أطلب منه أن يعرفنى بذلك الشيء . أعطينى قلما » .

ما كانت الأم لتستطيع أن تمسك قلما . ولكنها حركت يدها كما لو كانت تكتب . ثم توقفت يدها . لقد أنطفأ النور الذى كان دائما ضعيفا ، وخرجت مسز جرادجرايند من الظل الذى يعيش فيه الانسان قلما .

الباب العاشر

سلم مسز سيارسيت

مكثت مسز سيارسيت بضعة أسابيع فى بيت أسرة باوندرباى . وعندما أرادت الانصراف ، دعاها المستر باوندرباى لأن تقضى عندهما عطلة نهاية الأسبوع ابان الطقس اللطيف . فقبلت مسز سيارسيت الدعوة مسرورة .

ظلت مسز سيارسيت تراقب لويزا ، وتخيّلها تهبط سلما كبيرا ، عند قاعدته العار والخراب للويزا . وصار عمل حياة مسز سيارسيت أن تنظر الى قمة سلمها الخيالى ، وتراقب لويزا وهى تهبطه ، أحيانا ببطء ، وأحيانا أخرى بسرعة . وأحيانا تهبط عدة درجات فى كل خطوة . وأحيانا تهبط ولكنها لا تستدير عائدة الى أعلى اطلاقا .

عندما كانت مسز سيارسيت تجزم أمتعتها ، ذات مساء ، لتغادر المنزل ، نظرت الى سلمها الكبير فأبصرت لويزا مازالت تهبط .

جلست لويزا الى جانب المستر جيمس هارتهوس فى مكان هادىء بالحديقة ، يتكلمان بهدوء جدا . الواقع

أنهما كانا يتكلمان غن سـتيفن بلاكبول . الا أن مسـز
سيارسيت لم تسمع حديثهما .

قال المستر هارتهوس : « أظن أن سـتيفن سرق
النقود » .

غير أن لويـزا لم تصدقه ، فى مبادئ الأمر . فأخذ
يبحثها على تصديقه . ثم شرعا يسيران ببطء فى ممرات
الجديقة ، والظلام ينتشر فى الجو . فاستندت لويـزا على
ذراع هارتهوس . لم تعرف أنها كانت تهبط الى أسفل ،
والى أسفل ، والى أسفل ، سلم مسـز سيارسيت .

الباب الحادى عشر

الى أسفل والى أسفل

عندما علم المستر جرادجرايند بموت زوجته ، رجع من لندن ، ودفنها بطريقة عملية ، ثم عاد مباشرة الى أعماله البرلمانية فى لندن .

فى ذلك الوقت ، اذ رجعت مسز سيارسيت الى مسكنها فى المصرف . داومت على المراقبة . لقد انفصلت عن سلمها طوال الأسبوع ، بقدر المسافة ما بين كوكتاون ومنزل المستر باوندرباى الريفى . ولكنها ظلت تراقب لويزا ، مراقبة دقيقة بطريقة غير مباشرة .

قالت مسز سيارسيت للشبح الهابط : « قدمك على الدرجة السفلى من السلم ، يا سيدتى ، وكل أفانين خداعك ، لن تعمينى » .

حقيقة ، كانت لويزا صامته هادئة بصورة غريبة . وكانت هناك أوقات لا يتأكد فيها المستر چيمس هارتهاوس من لويزا ، وأوقات لم يستطع فيها قراءة ذلك الوجه الذى درسه مدة طويلة .

مر الوقت ، وحدث أن استدعى العمل المستر باوندرباى بعيدا عن بيته لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، ولكنه دعا مسز سيرايت الى أن تذهب الى بيته الريفى لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، كما اعتادت .

عندما أقفل المصرف فى ذلك المساء ، قالت مسز سيرايت لبيتزر ، رسول المصرف :

« اذهب ، من فضلك ، يا بيتزر ، وأخبر توم الصغير بأن يأتى ويشاركنى وجبة » .

قبل توم الصغير الدعوة ، وسرعان ما كان يتناول العشاء على مائدة مسز سيارسيت .

سألت مسز سيارسيت توم ، بقولها : « كيف حال المستر هارتهاموس ، يا مستر توم ؟ »
قال : « انه بخير » .

فقالت مسز سيارسيت بلهجة ودية : « أين هو الآن ؟ »

قال : « كان بعيدا عن البيت ، غير أنني أتوقع أن أراه غدا . عندى موعد معه . اتفقنا على أن نلتقى فى المساء عندما يصل الى المحطة هنا ، فى كوكتاون . ثم نتعشى معا . لا يستطيع البقاء فى بيت أبى كثيرا الآن ، اذ عليه أن يتنقل ، ولكنى أظنه سيمكث هناك يوم الأحد القادم » .

فقال مسز سيريت : « يوم الأحد ؟ هذا يذكرني بشيء . فهل تتفضل يا مستر توم ، بحمل رسالة الى أختك؟ أرجوك أن تخبرها وهي وحدها ، بأننى لن أستطيع الذهاب الى بيتها الريفى ، فى نهاية هذا الأسبوع لأن صحتى ليست على مايرام » .

فى يوم السبت التالى ، جلست مسز سيارسيت بجانب نافذتها طول اليوم . وفى المساء ، ارتدت معطفها وقبعتها ، وذهبت الى المحطة . فجلست فى أحد الأركان المظلمة بالمحطة ، واختبأت فى حجرة انتظار السيدات لفترة ما ، وأخذت تراقب ما يحدث خارج الحجرة .

أبصرت مسز سيارسيت ، توم على رصيف المحطة ينتظر القطار القادم . ولكن عند مجيء ذلك القطار لم يكن المستر چيمس هارتهوس به . فتحدث توم مع موظفى المحطة ، فعلم أن عليه أن ينتظر ساعة وأربعين دقيقة حتى يأتى القطار التالى . فقالت مسز سيارسيت لنفسها : « هذه خطة مدبرة ، لابعاد توم عن البيت . . . هارتهوس الآن مع أخته » .

وعلى هذا ، تركت مسز سيارسيت هذه المحطة بسرعة ، وذهبت الى المحطة الأخرى التى بالبلدة حيث يمكنها أن تستقل القطار الى بيت المستر باوندرباى الريفى . وسرعان ما كانت فى القطار ، وهى تتصور سلمها الخيالى ، طوال الطريق ، فترى الشبح يقترب الآن من الخراب والدمار .

كان مساء غائما من شهر سبتمبر . فذهبت مسر سيارسييت الى بيت المستر باوندرباي ، واختبأت فى الحديقة . ونظرت الى نوافذ البيت ، فلم تكن بها أنوار حتى ذلك الوقت ، والجو يسوده الهدوء . فنظرت حواليتها فى الحديقة ، فلم تبصر أحدا . ثم فكرت فى الغابة الصغيرة القائمة فى طرف الحديقة ، والمقعد الذى تحب لويزا أن تجلس فيه .

سارت مسر سيارسييت ، حتى صارت على مسافة آمنة من ذلك المقعد ، ووقفت هادئة ، وأصغت . . هناك أصوات خافتة قريبة : صوته وصوتها . اذا ، فقد كان الموعد مع توم فى المحطة ، مجرد خدعة لابعاده من طريقهما . . كانا هناك يجلسان معا ، بين الأشجار .

اقتربت مسر سيارسييت مسافة ما ، وكان جيمس هارتهوس ، قد جاء راكبا حصانه خلال الحقول فلما وصل ، ترجل وربط الحصان فى السور . انه يتكلم الآن مع لويزا .

قال المستر هارتهوس : « يا أعز محبوبية ! ماذا بوسعى أن أفعل ؟ عرفت أنك وحيدة هنا ، فهل من الممكن أن أبقى أنا بعيدا ؟ »

حولت لويزا نظرها الى أسفل ، ورجت هارتهوس أن ينصرف . ثم أمرته بأن ينصرف . لم ترفع عينيها عن

الأرض ، ولم تنظر الى وجهه ، أو اليه ، أو نحوه . بل
جلست ساكنة واضعة يدا فوق أخرى ، وهي تتكلم ببطء .

ابتهجت مسز سيارسيت عندما رأت ذراع هارتهوس
حول وسط لويزا ، وهو يقول لها : « يا طفلى العزيزة .
ألا تسمحين لى بالبقاء هنا برهة ؟ »

« ليس هنا » .

« أين ، اذا ، يا لويزا ؟ »

« ليس هنا » .

فقال هارتهوس : « ولكن ليس لدينا سوى القليل من
الوقت الذى يمكن أن ننتفع به . وقد جئت من مسافة
بعيدة . . أنا عبدك » .

قالت بلهجة الغضب : « هل أجبر على أن أقول مرة
أخرى ، انه يجب أن أترك وحدى ؟ »

قال : « ولكن يجب أن نتقابل ، يا عزيزتى لويزا .
فأين نتقابل ؟ »

أخذ جيمس هارتهوس يلقى على مسامح لويزا أنه
يحبها حبا جما ، وعلى استعداد لأن يتنازل عن كل شيء
من أجلها . فسمعت مسز سيارسيت هذا الكلام العاطفى
وهي مبتهجة . . وأخيرا ، ركب المستر هارتهوس جواده
وانصرف .

لم تتأكد مسز سيارست من المكان الذى سيلتقيان فيه .
ولكنها كانت على يقين من أن اللقاء سيكون فى تلك الليلة .
ولاحظت لويزا وهى تدخل البيت . وانتظرت فى الحديقة
تحت المطر الوابل ، وقد ابتل جوربها الأبيض كله . وسال
المطر من قبعتها ومن أنفها المعقوف . وأخيرا ، أبصرت
لويزا تخرج من البيت .

فكرت مسز سيارست فى أن لويزا ستتهرب مع
هارتهاوس . فلم تعبأ بالمطر الغزير ، وتبعت لويزا .
خرجت لويزا من الباب الجانبى ، ويممت شطر
المحطة . وعرفت مسز سيارست أنه سرعان ما سيأتى قطار
متجه الى كوكتاون .

اختبأت مسز سيارست ، من لويزا ، فى المحطة .
فلما جاء القطار ، مركبت لويزا فى إحدى العربات ،
ومركبت مسز سيارست فى عربة أخرى . ورغم أن أسنانها
كانت تصطك بشدة بسبب البرد ، إلا أنها كانت مسرورة .

قالت مسز سيارست لنفسها : « ستصل لويزا الى
كوكتاون قبل هارتهاوس ، فأين ستنتظره ؟ أو الى أين
سيذهبان معا ؟ سوف أرى » .

ولكن مسز سيارست لم تر شيئا . لقد أحدثت العاصفة
ارتباكاً فى محطة كوكتاون ، حتى ان مسز سيارست فقدت
رؤية لويزا .

الباب الثاني عشر

الى أسفل

جلس المستر جرادجرايند فى بيته (ستون لودج) ،
اذ لم يعقد البرلمان جلسته . وكان يكتب فى حجرته ،
والساعة العتيقة مازالت هناك تدق بصوتها العالى المنتظم .

لم تزعج العاصفة الرعدية المستر جرادجرايند كثيرا .
وكان الرعد وقتذاك يتجه بعيدا والمطر يهطل كالطوفان .

بينما المستر جرادجرايند منهمكا فى الكتابة ، اذ
بباب حجرته يفتح فجأة ، فتطلع حواليه وهو أمام المصباح
الموضوع على المائدة . فأدهشه أن رأى ابنته الكبرى .

« لويزا ! »

قالت : « أريد أن أتحدث اليك ، يا أبت » .

بدت لويزا غريبة الشكل ، حتى ان أباهأ خاف منها .
فجلست على مقعد ، ووضعت يدها الباردة على ذراعه .

قالت : « لقد دربتنى ، يا أبت ، منذ سنواتى

المبكرة » .

قال : « نعم ، يا لويزا » .

قالت : « انى لآلعن الساعة التى ولدت فيها لمثل هذا المصير » .

فلما سمع الأب كلامها هذا ، بعد كل عنايته بها ، طأطأ رأسه ، وأسندته فوق يده ، وتأوه عالياً .

قالت : « كنا معا لآخر مرة فى هذه الحجرة ، يا أبت ، عندما تحدثت الى عن الزواج بچوزياه باوندرباى . ولو عرفت حقيقة مشاعرى ، فهل كنت تعطينى له ؟ »

« كلا ، يا طفلتى المسكينة » .

قالت : « هل كنت تسلبنى الجزء الهام من حياتى : ربيع وصيف ايمانى ؟ »

أجاب الأب بقوله : « كلا ، كلا ، يا لويزا » .
قالت لويزا : « شعرت بأن الحياة سرعان ما ستمر ، ولا شىء يساوى ألم النضال وتعبه » .

فقال المستر جرادجرايند باشفاق : « وأنت صغيرة هكذا يا لويزا ؟ »

قالت : « كان شعورى على ذلك النحو ، يا أبى ، عندما اخترت لى زوجى . فأخذته . . . ولم أدع سواء له أو لك ، بأننى أحببته . . . كنت أعرف ، وأنت تعرف ، وهو يعرف أننى لا أحبه اطلاقاً . ظننت أن بمقدورى مساعدة أخى توم ، بهذا الزواج . كنت أشعر بالعطف الكثير على توم » .

فقال أبوها : « وماذا بوسعى أن أفعل ، يا طفلي
لويزا ؟ اطلبى ما تريدينه » .

قالت : « يا أبت ، ألقى الحظ في طريقى بصديق
جديد . انه رجل اجتماعى عصرى ، ومهذب ومرن . لم
تسبق لى أية ممارسة مع أمثال هذا الرجل . لم يتقدم
بإدعاءات . . له آراء متواضعة عن كل شىء ، شعرت بأنها
هى آرائى ، أنا نفسى ، أيضا . يبدو أن هناك تقاربا بيننا ،
يا أبى . وما تعرفه عن قصة زواجى ، سرعان ما عرفها
هو أيضا » .

امتقع لون المستر جرادجرايند جدا ، وأمسك ابنته
بكلتا ذراعيه .

قالت : « لا أعرف ما اذا كنت أحبه . ولكن تغيب
زوجى فى هذه الليلة ، فجاء الى ذلك الرجل ، وقرر أنه
يجبنى . وانه ليتوقع لقاىى ، فى هذه اللحظة . . آسفة
لأننى لا أعرف مثل ذلك الشىء . كل ما أعرفه هو أن
فلسفتك وتعليمك لن ينقذانى . وبما أنك نشأتنى على
هذا ، يا أبى ، فانقذنى » .

شدد الأب قبضته على ابنته ، فصرخت بصوت
فظيع ، وقالت : « ساموت أن أمسكت بى ! » ثم سقطت
على الأرض مغمى عليها .

الجزء الثالث

الحصاد

الباب الأول

شيء ضروري آخر

أفاقت لويزا ، بعد ذلك ، فى فراشها بحجرتها القديمة . ثم دخل أبوها ليطمئن عليها . وبعد ذلك دخلت سيسى چوب .

قالت سيسى : « أرجو ألا أكون قد أزعجتك . جئت لأسألك ما اذا كان بوسعى أن أبقى معك » .

فقالت لويزا : « لماذا تمكثين معى هنا ؟ »

قالت سيسى : « أحب أن أساعدك ان استطعت »
« لماذا ؟ »

« لأساعدك فى أى شيء تحتاجين اليه ، ان كان ذلك الشيء فى مكنتى . وعلى أية حال ، سأحاول أن أكون بقربك ، قدر طاقتى . فهل تسمحين لى بذلك ؟ »

فقلت لويزا : « هل سبق أن كرهتك ؟ »

فقلت سيسى : « أرجو ألا تحدث بيننا أية كراهية ،
لأننى أحببتك دائما ولكنك تغيرت قليلا ، عندما غادرت
هذا البيت . وكان هذا طبيعيا جدا ، عندما تذهبين الى
أصدقاء .. لم أتأثر اطلاقا » .

ادركت لويزا أن هذه الفتاة تحبها ، وتأثر بها قلبها .

فقلت سيسى : « هل أحاول ؟ »

فأومأت لويزا برأسها علامة على الموافقة .

وهكذا صارت سيسى جوب ، ابنة عارض السيرك ،
أوفى صديقة للويزا .



قضى المستر هارتهاموس ، ليلة كاملة ويوما كاملا ،
فى قلق بالغ . فبعد أن ترك لويزا ، عاد الى فندقه .
فظل جالسا ، الليل بطوله ، ينتظرها . وفى الصباح ،
ذهب الى بيت باوندرباي الريفى ، مرة أخرى فعلم أن
المستر باوندرباي مازال غائبا ، وأن زوجته فى البلدة ..
سافرت فى الليلة الماضية ، فجأة .

وعلى هذا ، رجع جيمس هارتهاموس ، ثانية ، الى
كوكتاون ، وذهب الى بيت باوندرباي بالبلدة . أملا فى

أن يجد لويزا هناك ، ولكنه لم يجدها . فسأل فى المصرف ،
فعلم أن المسـتر باونـدرباى ما فتىء متغيبا ، وأن مسز
سپارسيت ليست هناك ، هى أيضا . فسأل توم أين ذهبت
مسز سپارسيت .

فقال توم : « لست أدرى . انصرفت الى مكان ما ،
فى أول هذا الصباح » .

فقال هارتهوس : « أين كنت فى الليلة الماضية ،
يا توم ؟ »

قال : « كنت أنتظرک بالمحطة ، يا مسـتر هارتهوس .
ولكنك تعنى أين كنت أنت ! »

فقال هارتهوس : « منعنى الذهاب طارىء ما .
فاضطرت الى البقاء » .

فقال توم : « كذلك اضطرت أنا الى البقاء . كلانا
اضطر الى البقاء . اذ بقيت بالمحطة حتى فاتنى كل قطار .
فكان لزاما على أن أنام بالبلدة » .

« أين ؟ »

« ولماذا أين ؟ فى فراشى ببيتنا » .

« هل رأيت أختك ؟ »

« كيف أرى أختى وبينى وبينها مسافة أربعة وعشرين

كيلو مترا ؟ »

عاد چيمس هارتهوس الى فندقه . وظل طيلة بعد الظهر ينتظر أخبارا . وأخيرا جاءه خادم الفندق ، يقول : « عفوا ، يا سيدى . توجد فتاة تريد مقابلتك » .

أسرع المستر هارتهوس بالخروج من حجرته الى حيث تقف فتاة لم يرها من قبل ، ترتدى ثيابا بسيطة ، وكانت هادئة جدا ، وجميلة جدا . فقادها الى الحجرة ، وقدم لها كرسيًا لتجلس . فرآها فى نور الشموع ، أجمل مما كان يظن .

عندما صارا وحدهما ، قالت الفتاة : « هل أنت المستر هارتهوس ؟ »

قال : « نعم ، أنا المستر هارتهوس » .

قالت : « ربما أمكنك التخمين بمن تركتها منذ لحظة قصيرة ! »

قال : « كنت قلقا جدا ، ومهموما غاية الهم من أجل سيدة صغيرة السن ، فى الأربع والعشرين ساعة الماضية ، وأمل ، أن تكونى قد جئت من عندها » .

قالت : « نعم ! وتركتها منذ أقل من ساعة » .

« أين ؟ »

قالت : « فى بيت أبيها » .

استطال وجه المستر هارتهوس ، رغم بروده .

استطردت هذه الفتاة ، تقول : « جاءت الى هناك ،
فى الليلة الماضية ، فى حالة اضطراب شديد . وظلت فاقدة
الوعى طول الليل . . أنا أقيم فى بيت والدها . وكنت
معها . يمكنك أن تتأكد ، يا سيدى ، من أنك لن تراها
مرة أخرى » .

استنشق المستر هارتهوس نفسا عميقا ، وقال : « هل
طلبت منك هذه السيدة ، أن تخبرينى بهذا ؟ »

قالت : « كلا ، ولكن لا تأمل فى أن تراها » .

قال : « ولكن تلك السيدة لم تبعث الى بأية رسالة ،
ولم تطلب منك أن تأتى الى ؟ »

قالت : « هذا صحيح . ولكنها تثق بى ، وأنا أعلم
شيئا عن زواجها ، وأظنك ، أنت أيضا ، تثق بى ، يا مستر
هارتهوس » .

نزل هذا النبأ فى المكان الذى به قلب جيمس
هارتهوس

أردفت هذه الفتاة تقول : « أطلب منك ، يا مستر
هارتهوس ، أن ترحل من هذا المكان ، فى هذه الليلة ،
وتعد بالأ تعود اليه » .

قال : « هل تسمحين لى بأن أعرف اسم عدوتى ؟ »

قالت : « اسمى ؟ »

قال : « نعم » .

قالت : « اسمى سيسى چوب . أنا فتاة فقيرة .
انفصلت عن أبى الذى كان عارضا فى السيرك . فأشفق على
المستر جرادجرايند . فعشت مع أسرته منذ ذلك الوقت » .

انصرفت سيسى .

بعد ذلك ، أمسك المستر چيمس هارتهوس قلما ، وكتب
لأخيه فى لندن :

عزيزى چاك

- انتهى كل شىء فى كوكتاون .
- مللت هذا المكان .
- سأعود .

المحب

چيم

ثم حزم أمتعته وغادر كوكتاون فى نفس الليلة .

الباب الثانى

قرار حاسم

أصيبت مسز سيارسيت ، التى لا تكل ولا تتعب بنزلة برد حادة . فتغير صوتها وتقلص الى همس ، وانتابها غطاس مستمر . ورغم هذا ، ظلت تبحث عن المستر باوندرباى فى كافة أنحاء لندن ، حتى عثرت عليه .

أخبرته بقصتها ، من أولها الى آخرها ، ثم أغمى عليها . . . فعمل المستر باوندرباى على اعادتها الى وعيها برفق . ثم صحبها الى كوكتاون بالقطار .

فلما بلغا كوكتاون ، ذهبنا الى بيت ثوماس جرادجرايند ، المعروف باسم « ستون لودج » .

اقتحم باوندرباى حجرة توم جرادجرايند فى وقت متأخر من الليل ، وقال له : « هذه سيدة . مسز سيارسيت ، لديها ما تقوله لك » .

فقال المستر جرادجرايند : « اذا ، فأنت لم تتسلم خطابى » .

فقال المستر باوندرباى : « لا وقت للخطابات من

شخص يتكلم عن خطابات مع جوزياه باوبدرباي ، مواطن
كوكتاون ، وعقله في مثل هذه الحال التي هو عليها الآن .
يا مسز سپارسيت ، تقدمي ، يا مدام ، وتكلمي « .

ولكن اصابة مسز سپارسيت بالبرد كانت شديدة . فلم
تستطع الكلام . فقال باوندرباي : « اذن . فسأتكلم أنا
بدلا منها » .

قال المستر باوندرباي : « سمعت مسز سپارسيت ،
صدفة ، حديثا بين ابنتك ، وصديقك المستر جيمس
هارتهاوس » .

فقال المستر جرادجرايند : « هل هذا حقيقي ؟ »
فصاح باوندرباي ، يقول : « حقيقي . . وفي تلك
المحادثة »

فقال جرادجرايند : « لا لزوم للاعادة ، يا باوندرباي .
أنا أعرف ما حدث » .

فقال المستر باوندرباي : « هل تعرف ؟ وربما تعرف
أين ابنتك ، الآن ؟ »

قال المستر جرادجرايند : « لاشك في أنها هنا الآن » .
فصاح باوندرباي ، يقول : « هنا ؟ »

قال جرادجرايند : « نعم ، لويزا هنا . ففي اللحظة



كانت اصابة مسز سيارسيت بالبرد شديدة . فلم
تستطع الكلام . فقال باوندرباي : « اذن .
فسأتكلم أنا بدلا منها » .

التي استطاعت فيها التخلص من ذلك الشخص الذي تتكلم عنه ، أسرع إلى هنا لحمايتها . ركبت القطار من بيتك الريفى ، إلى كوكتاون . وجرت من هناك إلى هذا البيت ، وسط العاصفة الهوجاء . جاءتنى فى حالة فظيعة . من المؤكد أنها بقيت هنا منذ تلك اللحظة . أرجوك من أجل خاطرك وخاطرِها ، أن تكون أكثر هدوءا « .

ظل المستر باوندرباى ، مدة لحظة ، ينظر حواليه فى صمت ، ثم قال لمسز سيارسيت وهو غاضب :

« يسعدنا ، يا مدام ، أن نسمع منك أى اعتذار بسيط . ربما أمكنك أن تفسرى لنا لماذا سافرت حول هذا البلد بحكاية كلها هراء فى هراء « .

انخرطت مسز سيارسيت فى البكاء ، فصحبها المستر باوندرباى إلى العربة التي كانت لا تزال واقفة أمام البيت . ونصحها بأن تذهب إلى المصرف وتضع قدميها فى ماء ساخن وتستريح .

فقال المستر جرادجرايند : « أعتقد يا عزيزى باوندرباى ، أننى أفهم لويزا ، الآن ، أفضل مما كنت أفهمها من قبل . أعتقد أن لها شيئا سننمو وتكبر . وأقترح ، أننا ان تركناها على سجيتهما الأفضل ، لفترة ما ، فسيكون هذا خيرا لسعادتنا ، جميعا « .

احمر وجه المستر باوندرباى غضبا ، وقال : « أتعنى أنك تريد الاحتفاظ بها هنا ، لوقت ما ؟ »

فقال المستر جرادجرايند : « كنت أود أن تسمح لها بأن تبقى هنا ، فى زيارة لنا . »

قال : « أستنتج من هذا ، يا توم جرادجرايند ، أنك تعتقد أن أخلاق لويزا وأخلاقى لا تتفقان . انظر الى الآن . أنا جوزياه باوندرباى ، مواطن كوكتاون . ابنتك لا تعرف قدر زوجها . وابنتك لم تولد عقيلة . أنا الذى منحتها ذلك الشرف بزواجى اياها . لقد دهشت نساء كثيرات ، ساميات المنزلة لسلوكها . وأدهشهن كيف أننى صبرت وتحملت ذلك . وأنا نفسى ، أدهش الآن ، ولن أتحملة . »

نهض المستر جرادجرايند ، وقال : « يا باوندرباى ، أعتقد أنه كلما قل كلامنا الآن فى هذه الليلة ، كان أفضل . »

فقال باوندرباى : « لا أريد أن أتعارك معك من أجل هذا الموضوع ، يا توم جرادجرايند . ولكن ، اذا لم ترجع ابنتك الى بيتها غدا ، فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فسأفهم أنها تفضل البقاء بعيدا . وسأرسل ملابسها ومتعلقاتها الى هنا ، فتتولى أنت أمرها مستقبلا . »

فقال جرادجرايند : « أرجوك أن تعيد النظر فى هذا ، يا باوندرباى ، قبل أن تتخذ مثل هذا القرار . »

قال : « كلا . فأنا أقرر دائما بسرعة . كل ما أفعله ،
أفعله فوراً . وليس عندي ما أقوله زيادة على هذا . .
مساء الخير ! »

ذهب المستر باوندرباى الى بيته فى كوكتاون وأوى
فى الفراش .

بعد الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق ، ظهرا ،
فى اليوم التالى ، أمر المستر باوندرباى بحزم كل متعلقات
زوجته ، بعناية ، وأرسلها الى بيت توم جرادجرايند .
وأعلن عن عرض بيته الريفى للمبيع ، وعاد ، من جديد ،
الى حياة العزوبة .

الباب الثالث

المفقود

لم ينس المستر باوندرباي سرقة المصرف . فوضع ملصقة عليها صورة ستيفن بلاكيول ، وعرض مكافأة قدرها عشرون جنيتها ، لكل من يعثر على ذلك الرجل ، ويقبض عليه . ففرغت راشيل عندما أبصرت هذه الملصقة ، وذهبت لمقابلة المستر باوندرباي .

فصحبها المستر باوندرباي ، لمقابلة أسرة جرادجرايند ، وأخذ معه توم الصغير .

دخل المستر باوندرباي ، ببرود ، وقال لزوجته : « يا مسز باوندرباي ، أمل في ألا أزعجك . ولكن هذه المرأة الصغيرة ، أفضت الى بحقائق ، جعلت زيارتي ضرورية . وأود أن أعرف ما اذا كانت حقيقية أم كاذبة . وأخوك لا يريد أن يتكلم » .

قالت راشيل ، المويزا : « لقد رأيتني ، قبل الآن ، يا سيدتي الصغيرة » .

فقالت لويزا : « نعم ، هذا صحيح » .

فقلت راشيل : « هل تتفضلين ، يا سيدتى الصغيرة ،
بأن تخبرينى أين رأيتنى ، ومن كان هناك ؟ »

قالت : « ذهبت الى البيت الذى كان يقيم فيه ستيفن
بلاكبول ، فى الليلة التى فصل فيها من العمل . فرأيتك
هناك ، وكان أخى معى » .

فقال المستر باوندرباى : « لماذا لم تتكلم بهذا يا توم
الصغير ؟ »

فأجاب توم ، وهو ينظر الى أخته بحسرة : وقال :
« وعدت أختى بالأأذكر ذلك » .

أكدت لويزا قول أخيها بسرعة

فاستطردت راشيل تقول : « هل تسمحين يا سيدتى
الصغيرة بأن تخبرينا بسبب ذهابك الى بيت ستيفن
بلاكبول ، فى تلك الليلة ؟ »

فقلت لويزا ، وقد زادت حمرة وجهها : « أحسست
بالشفقة على ذلك الرجل ، فرأيت أن أقدم له مساعدة » .

فقلت راشيل : « هل قدمت له ورقة مالية ؟ »

قالت : « نعم . ولكنه رفض أن يأخذها ، وأخذ
فقط جنيهين ذهبين » .

نظرت اليها راشيل وقالت : « يا سيدتى الصغيرة ،

البلدة كلها تعرف الآن ، أن ستيفن بلاكيول لص . مع أنه أعظم رجل من حيث الأمانة والاخلاص ، وأعظم رجل فى « ثم توقفت عن الكلام وهى تنتحب » .

فقال لويزا : « أنا آسفة جدا ، جدا » .
فقال المستر باوندرباى لراشيل : « هيا ، وأخبريهم ماذا فعلت » .

فقال راشيل : « كتبت الى ستيفن ، بالبريد الذى سافر بعد ظهر اليوم » .

خرج المستر باوندرباى مع توم ، الذى بدا شاحب اللون . فلما انصرفا ، سألت سيسى راشيل عن عنوان بيتها ، ووعدها بأن تزورها لتعرف ان كانت هناك أخبار من ستيفن .

وبعد أن انصرفت راشيل ، قال المستر جرادجرايند لابنته اويزا : « هل تعتقدين أن ذلك الرجل برىء ؟ »

قالت : « نعم ، أعتقد هذا الآن » .

أخذ المستر جرادجرايند يفكر ، فقال لنفسه : « اننى لأسأل نفسى عما اذا كان اللص الحقيقى يعرف هذه الاتهامات . أين هو ؟ ومن هو ؟ »

بدأ لون المستر جرادجرايند يقتتم أكثر من ذى قبل ،

ويبدو أكبر سنا . فذهبت اليه لويزا بسرعة ، وجلست الى جانبه . وبمحض الصدفة ، التقت عيناها بعيني سيسى فى تلك اللحظة . فاجمر وجه سيسى ، ووضعت لويزا اصبعها على شفتيها .

مر اليومان ، ولم يحضر ستيفن بلاكيول ، وفى اليوم الرابع ، ذهبت راشيل الى المصرف ، وأطلعت المستر باوندرباى على الخطاب الذى تسلمته من ستيفن ، وعليه عنوانه فى مصنع على بعد تسعين كيلو مترا .

- بعثت رسل الى ذلك المكان ، ولكنهم عادوا وحدهم .
- تسلم ستيفن بلاكيول خطاب راشيل ، فسافر على الفور .
- ولكن ما من انسان سمع عنه بعد ذلك .

الباب الرابع

عشر عليه

مر الوقت ، ولم يظهر ستيفن بلاكيول . فأين يوجد ذلك الرجل ؟ ولماذا لم يرجع ؟

أخذت سيسى تزور راشيل كل يوم لتعرف ما اذا كانت هناك أخبار .

وذات يوم ، كانت سيسى وراشيل تسيران فى الشارع الذى به منزل المستر باوندرباى . فاذا بعربة تأتى وتقف أمام الباب ، فنزلت منها مسز سيارسيت تجر خلفها امرأة عجوزا .

صاحت مسز سيارسيت ، تقول : « اتركوها . لا أحد يلمسها . أنها تختص بى » .

سحبت مسز سيارسيت ، هذه المرأة العجوز الى بيت المستر باوندرباى . وبدافع الفضول ، تبعتهما راشيل وسيسى ، وعدد من الناس كانوا فى الشارع . فدخلوا جميعا الى حجرة مائدة المستر باوندرباى الكبيرة ، ظنا منهم أنه لايد لهذه السيدة علاقة بسرقة المصرف .

فقلت مسز سپارسيت : « نادوا المستر باوندرباى » .
ثم تكلمت مع راشيل وقالت لها : « يا سيدتى الصغيرة ،
أنت تعرفين من تكون هذه المرأة العجوز » .

فقلت راشيل : « سبق أن رأيتها . انها مسز پجلر » .
غطت مسز پجلر وجهها ، وتوسلت الى مسز سپارسيت
أن تدعها تنصرف .

عندئذ ظهر المستر باوندرباى بصحبة المستر
جرادجرايند ، وتوم الصغير ، الذى كان يتحدث معه فى
الطابق العلوى . فدهش المستر باوندرباى لرؤية هذا الجمع
فى غرفة مائدته .

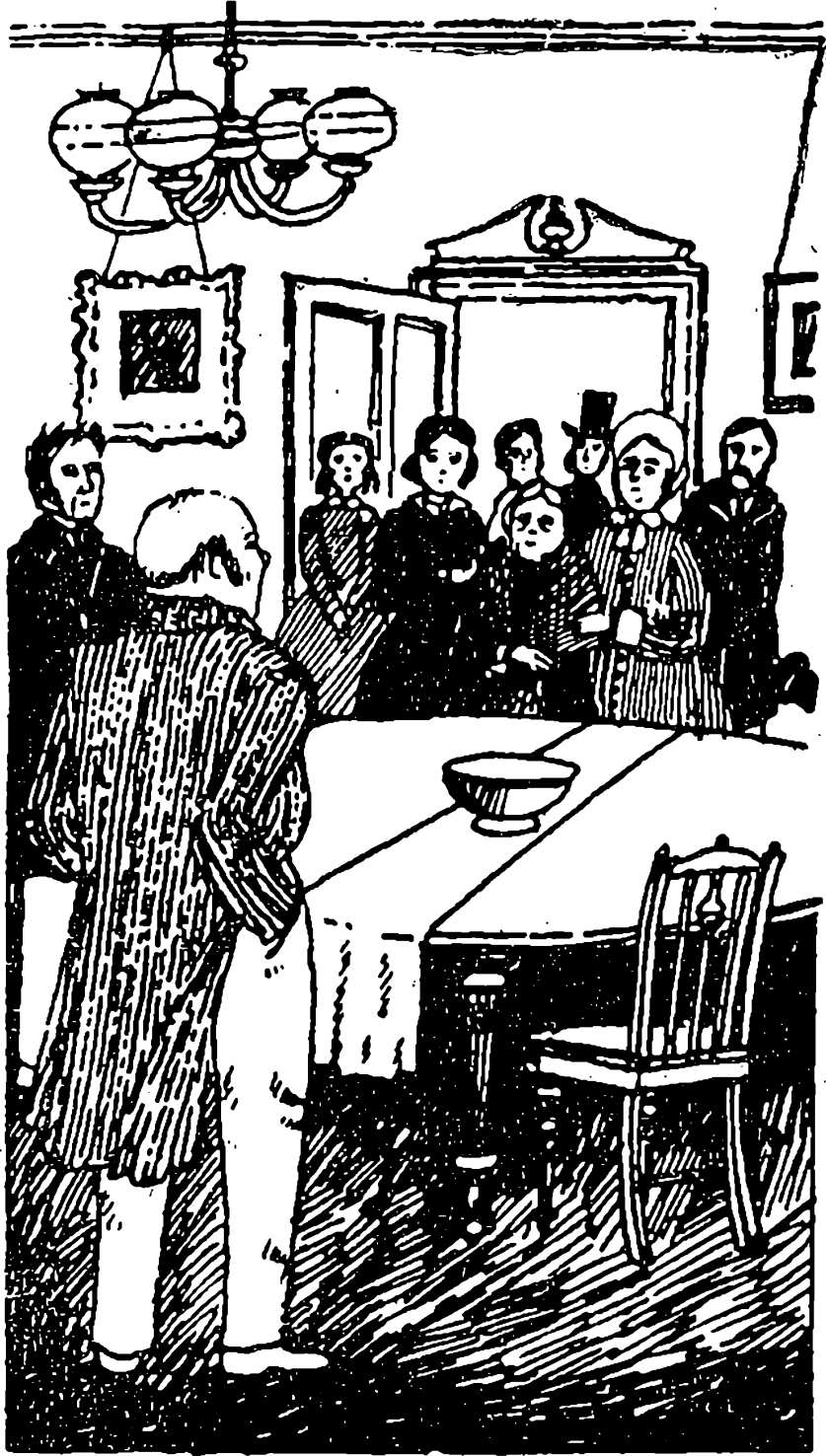
نظر المستر باوندرباى الى مسز سپارسيت ، وقال :
« ما الخطب الآن ؟ لماذا كل هؤلاء ، يا مسز سپارسيت ،
يا مدام ؟ »

قالت : « يا سيدى ! وجدت شخصا ، أردت أنت
بلهفة ، أن تراه » .

ما ان وقعت عينا المستر باوندرباى على مسز پجلر ،
حتى احمر وجهه بشدة .

صاح المستر باوندرباى ، يقول : « يا مسز سپارسيت . .
كيف تتجاسرين على التدخل فى شئونى العائلية ؟ »

ارتعدت مسز پجلر ، وقالت : « يا عزيزى جوزياه . .



عندئذ ظهر الميستر باوندرباى ودهش
لرؤية هذا الجمع فى غرفة مائدته .

يا ولدى المحبوب . هذا خطئى أنا . قلت لهذه السيدة انك تتوق الى رؤيتى . كنت أعيش دائما فى هدوء ، وفى سرية . يا ابنى العزيز جوزياه ، لم أقل أبدا اننى أمك . بل كنت أعجب بك من بعيد ، وأجىء الى هذه البلدة بين آونة وأخرى كى أحظى بنظرة سريعة اليك دون أن يرانى ، أو يعرفنى أى انسان « .

أخذ المستر باوندرباى يذرع أرض الحجره جيئة وذهابا ، وقد وضع يديه فى جيوبه ، والغيط يكاد يقتله ، فقال المستر جرادجرايند لتلك السيدة العجوز : « يدهشنى يا مدام ، أن تقولى ان المستر باوندرباى ابنك . لقد عاملته بقسوة وهو صغير ، وهجرته « .

فصاحت مسز پجلر تقول : « هجرت ابنى جوزياه ؟ كلا ، كلا . لم أهجره ، وانما أعطيته تعليما طيبا . مات أبوه المحبوب ، وابنى هذا فى الثامنة من عمره . فاعتنيت به حتى صار رئيسا طيبا ، وتاجرا طيبا « .

فلما سمع الناس ، الذين جاءوا من الشارع ، كلامها هذا ، أصدروا أصوات العطف على العجوز مسز پجلر . لقد ظل المستر باوندرباى يخدع كل انسان بالقصص التى رواها عن طفولته الصعبة ، وبأنه أهمل فى حداثة سنه وكون نفسه بنفسه .

بقى المستر باوندرباى يسير فى أرض الحجره ذهابا
وأيابا ، وأشتدت حمرة وجهه أكثر فأكثر ، ثم توقف ، وقال :

« لا أعرف ، بالضبط ، كيف جاعنى السرور لهذه
الصحبة الحاضرة . ولكن تدخل شخص ما فى شئونى
الخاصة ، فأزعجنى اذ أمقت هذا التدخل . مساء الخير ! »
ثم فتح الباب على مصراعيه ليخرج الناس .

الباب الخامس

ضوء النجم

كان يوم الأحد التالى يوما مشرقا من أيام الخريف ،
جوه صحو وبارد . وكانت راشيل وسيسى قد اتفقتا على أن
تخرجا فى نزهة على الأقدام فى الريف . فركبتا القطار
أولا للخروج من تلك البلدة كثيرة الدخان .

نزلت هاتان الفتاتان من القطار ، وأخذتا تسييران
خلال الحارات والممرات ، تتمتعان باستنشاق الهواء العليل .
وكانت بالأرض هناك حفر للفحم ، فتجنبتا السير وسط
الحشائش الطويلة ، التى قد تخفى حفر الفحم .

وبينما هما تسييران ، صاحت سيسى بغتة ، تقول
لراشيل :

« هنا قبعة فوق الحشائش » . فاتجهتا معا نحو
القبعة ، والتقطتها راشيل بسرعة ، وما ان ألقت عليها
نظرة حتى ارتعدت فرأئصها من رأسها الى قدميها ، اذ
قرأت بداخل تلك القبعة ، اسم ستيفن بلاكيول . لابد أن
بقيت هذه القبعة فوق الحشائش بضعة أيام ، اذ بللها المطر

والندى . فهمست سيسى تقول : « سأسير وحدى مسافة قصيرة » .

ما ان همت سيسى بالتقدم خطوة واحدة ، حتى صرخت راشيل وأمسكتها بكلتا ذراعيها . فأمامهما ، وتحت أقدامهما مباشرة ، حافة حفرة واسعة تخفيها الحشائش الكثيفة . فقفزتا الى الخلف ، فى وقت واحد ، ووقعتا على ركبهما .

صاحت راشيل تقول : « واربى الرحيم ! انه فى أسفل هذه الحفرة . أسفلها » .

فقالت سيسى : « يا راشيل ، قد يكون ستيفن حيا » .
وذهبت الى حافة الحفرة ، ونادت بأعلى صوتها . ولكن ، ما من صوت رد عليها .

سارت الفتاتان ، بعد ذلك ، فى جهتين مختلفتين بحثا عن نجدة . وأخذت سيسى تجرى من مكان الى آخر ، حتى وجدت اثنين من عمال السكة الحديدية ، فأخبرتهما بخبرها ، فذهبا معها ، وجمعا رجالا آخرين . وجاء طبيب من كوكتاون ومعه أناس آخرون .

أدليت شمعة متقدة فى تلك الحفرة ، فى الساعة الخامسة مساء لتجربة الهواء الذى بداخل الحفرة ومعرفة ما اذا كان صالحا للنفس . ولما أخرجت الشمعة كانت

لا تزال مشتعلة . فربط دلو بحبل ، وأنزل رجلان الى قاع الحفرة .

عاد أحد هذين الرجلين ، فعلا صياح الناس يقولون : « أهو حى أم ميت ؟ » فلما أخبرهم بأنه حى ، علت صيحة فرحة عظمت شكر الله ، وترقرت الدموع فى عدة عيون .
أردف الرجل الذى خرج من الحفرة ، يقول : « ولكنه مصاب بفضاعة . أين الطبيب ؟ »

كان ستيفن يحاول عبور تلك المنطقة الخطرة بعد أن هبط الظلام . وكان يسرع الخطو ليعود الى كوكتاون لينقذ سمعته .

وأخيرا ، أخرج ستيفن من الحفرة ضعيفا جدا . فأرقدوه على الأرض ، وذهبت اليه راشيل وقالت له :

« انك لتتألم ألما عظيما ، الآن ، يا عزيزى ستيفن » .

قال : « كنت أتألم من قبل . أما الآن ، فلا أشعر بأى ألم . الأمر كما سبق أن قلت من قبل : هناك الكثير من سوء التفاهم فى هذه الحياة . ولكن انظرى الى فوق ، يا راشيل » .

تتبعته راشيل عينيه ، فرأته يحدق النظر الى نجم ساطع ، وقال : « أضواء لى هذا النجم عندما كنت أتألم وأشعر بالتعب . أضواء فى داخل عقلى . فنظرت اليه ،



وأخيرا ، أخرج ستيفن من الحفرة ضعيفا
جدا . فارق دوه على الأرض وذهبت
اليه راشيل .

وفكرت فيك ، يا راشيل . واننى لأصلى لله قبل موتى ،
طالباً منه ، أن ينضم الناس بعضهم الى بعض ، أكثر مما
هم عليه الآن ، ويكون هناك حسن تفاهم بين كافة الأنام .
لا تتركى يدي يا راشيل ، يا فتاتى المحبوبة » .

أقبل المستر جرادجرايند ، وهو وابنته لويزا ، فقال
له ستيفن :

« أنقذ اسمى ، يا سيدى ، واجعله حسناً لدى كل
الناس . أترك هذا لك » .

ارتبك المستر جرادجرايند ، وقال : « كيف ؟ »

فأجاب ستيفن يقول : « يا سيدى ، سيخبرك ابنك
كيف » .

استعد الناس لنقل ستيفن الى البلدة ، وسارت راشيل
الى جانبه . ولكن سرعان ما انقلب هذا الموكب الى
جنازة . . أوضح النجم لستيفن بلاكيول ، طريقه الى مثواه
الأخير .

الباب السادس

مطاردة الكلب

وقف توم الصغير بين الجموع المحتشدة حول الحفرة العتيقة ، فلما سمعت سيسى ما قاله ستيفن للمستر جرادجرايند ، ذهبت فى هدوء الى توم وتحدثت اليه بعض الوقت . فأصغى توم الى كلامها ، واختفى بسرعة .

فى اليوم التالى ، حاول المستر جرادجرايند العثور على ابنه ، ولكن دون جدوى . فقال لابنته لويزا :

« هل تظنين ، يا لويزا ، أن أخاك التعيس خطط لهذه السرقة عندما ذهب معك الى بيت بلاكيول ؟ »

قالت : « أخشى أن يكون الأمر هكذا ، يا أبى . أعرف أنه كان بحاجة ماسة الى نقود ، وأنه أنفق مبالغ كبيرة » .

فقال الأب : « وهل تكلم مع ستيفن بلاكيول ، على انفراد ؟ »

« نعم ، أظنه طلب منه أن ينتظره خارج المصرف ليلتين أو ثلاث ليال ، قبل أن يغادر كوكتاون » .

فقال المستر جرادجرايند : « اذن ، فالأمر واضح جدا . . واضح كل الوضوح » . ثم غطى وجهه بيديه لبضع لحظات ، واستطرد يقول : « وكيف يمكن انقاذ توم من العقاب ، الآن ؟ فبعد بضع ساعات ، يجب أن أعلن الحقيقة » .

فقالت لويزا : « ما عليك ، يا أبى ، اذ دبرت سيسى الأمر » .

رفع المستر جرادجرايند عينيه الى حيث تقف سيسى ، وقال لها : « انه أنت دائما ، يا طفلى » .

فقالت سيسى : « فكرت فى سيرك أبى القديم . لم أنس أين يعمل فى مثل هذا الوقت من السنة ، وكنت قد قرأت عنه فى احدى الصحف منذ مدة قريبة فحسب . فأخبرت توم بأن يذهب الى المستر سليرى ويطلب منه أن يخفيه عنده ، الى أن أذهب اليه » .

فصاح المستر جرادجرايند يقول : « شكرا للسماء ! بوسعنا ارساله الى الخارج » .

تبعَدَ البلدة التى أرشدت سيسى توم اليها ، مسيرة ثلاث ساعات من ليفرپول Liverpool ويمكن ارساله من تلك الميناء الى أى مكان فى العالم .

سارت سيسى ولويزا طول الليل الى تلك البلدة ،

بينما ذهب المستر جرادجرايند من طريق آخر . وأخيرا وصلتنا الى سيرك سليرى . فاستقبلهما المستر سليرى بترحاب عظيم .

فقالت لويزا : « سرعان ما سيكون أبى هنا . هل أخى فى أمان ؟ »

ابتسم المستر سليرى وقال : « فى أمان تام . انظرى الى حلبة السيرك . انه أحد المهرجين الواقفين فيها » .
من من أحد يستطيع أن يقول أى المهرجين هو توم .

نظر المستر سليرى الى لويزا ، وقال : « أشفق والدك على سيسيليا چوب ، وعلى هذا أرى لزاما على أن أقف الى جانبه . وفيما بعد ، عندما يصل أبوك ، سيجد أخاك متخفيا تماما » .

عندما جاء المستر جرادجرايند ، فيما بعد ، قابله توم وهو فى ثياب المهرج .

فقال له أبوه : « كيف حدثت السرقة ، يا توم ؟ »

قال : « فتحت الخزانة عنوة ، فى تلك الليلة . وتركت الباب مقفلا نصف اقفال ، قبل أن أنصرف . وقد أعددت المفتاح المصطنع قبل ذلك بمدة طويلة . ورمىته فى الصباح ، فى الشارع قريبا من المصرف ، حتى يظن أنه استعمل . لم آخذ النقود كلها دفعة واحدة . بل كنت

أظهار بأبنى أودع رصيدي فى الخزانة فى كل ليلة .
ولكننى لم أفعل . وهأنذا تعرف كل شىء عنها « .

فقال الأب : « يجب نقلك الى ليقرپول ، ومنها الى
الخارج » .

تأوه الكلب الصغير ، وقال : « أظن يجب ذلك . لن
أكون أكثر تعاسة فى أى مكان آخر ، من تعاستى هنا ،
منذ أن تذكرت فعلتى » .

زود المستر سنليرى ، توم ، بمجموعة أخرى من
الملابس ليسافر فيها . فارتدى توم زى عامل زراعى .

فقال المستر جرادجرايند : « هاك أوراقك يا توم .
وستتخذ كافة الوسائل اللازمة لك . أعطنى يدك يا ولدى
المسكين . وعسى أن يغفر الله لك ، مثلما غفرت أنا لك » .

بكى توم عند ذلك . ولكن عندما مدت لويزا ذراعيها
نحوه ، قال : « ليس أنت . لا أريد أن تكون لى بك أية
علاقة » .

فقالت لويزا : « ما هذا ، يا توم ؟ هل تنتهى علاقتنا
على هذا النحو ، بعد كل محبتى اياك ؟ »

قال : « لم تقفى الى جانبى . ولم تهتمى بى أبدا » .
صاحت لويزا تقول له انها تحبه وسامحته . وسوف

يندم فى يوم ما على تركه اياها هكذا . وستسره آخر
كلماتها ، وهو على مسافة بعيدة .

غير أنه عندما ذهبوا ليستقلوا العربة الى المحطة ،
وقف بيتزر فى طريق المستر جرادجرايند وسيسى ، ومنعهما
التقدم ، فوقفا .

قال بيتزر : « يؤسفنى أن أمنع خطتكم . فلن أسمح
لنفسى بأن يهزمنى عارضو السيرك . لابد أن أقبض على
توم الصغير . يجب ألا يقوده عارضو السيرك بعيدا . .
ها هو يرتدى ثياب عامل بمزرعة . لابد أن أقبض عليه » .

أمسك بيتزر ، توم من ياقة قميصه .

الباب السابع

فلسفة

• عاد الجميع الى فسطاط السيرك .
فقال المستر جرادجرايند مكتئبا وحزيننا :
« هل لك قلب ، يا بيتزر ؟ »

فأجاب بيتزر يقول : « لا يعيش أى انسان بدون قلب » .

فقال المستر جرادجرايند : « اذا ، فما الدافع الذى يجعلك تمنع هروب هذا الشاب ؟ انظر الى أخته هذه ، واعطف علينا » .

فقال بيتزر : « يا سيدى ، سأصحب توم الصغير الى كوكتاون ، وأسلمه الى المستر باوندرباى . ومن المؤكد أن هذا الأخير ، سيعطينى وظيفة توم . وهذه ترقية لى » .
وقفت لويزا وسيسى تبكيان .

لما سمع المستر سلىرى كل ما دار بين المستر جرادجرايند ، وبيتزر من حديث ، فتح إياه ، وثبت عينه

المتحركة على بيتزر ، وقال :

« يا مستر جرادجرايند ، لم أعرف أن ابنك سرق مصرفا .
هذه مسألة بالغة الخطورة . ولذلك فأنا أوافق هذا الشاب ،
الآن . وسأنقل ابنك وهذا الشاب ، فى عربتى الى المحطة .
ولا يمكننى أن أفعل أكثر من هذا » .

ولكنهم عندما خرجوا مرة ثانية ، همس المستر
سليرى يقول لسيسى : « بما أن المستر جرادجرايند ، وقف
الى جانبك ، فسأقف أنا الى جانبه . هذه ليلة حالكة الظلام .
عندى حصان يفعل كل شىء ما عدا الكلام . وعندى مهر
أصغر منه يسير بسرعة أربعة وعشرين كيلو مترا فى الساعة .
وعندى كلب يمكنه أن يحتفظ بأى انسان فى مكانه لمدة أربع
وعشرين ساعة ولا يدعه يفلت منه . فأخبرى المستر توم
الصغير بهذا : عندما يرى الحصان الذى يجر عربتنا ،
يبدأ يرقص ، يجب عليه أن يتطلع الى الطريق حتى يرى
حصانا أصغر ، يجر عربة أخرى . فلما تقترب منه هذه
العربة الأخيرة الصغيرة ، عليه أن يقفز من عربتنا ويركب
العربة الصغيرة ، فتنقله بسرعة الى ليثريول . وعند ذلك
لن يسمح كلبى لموظف البنك هذا بأن يتحرك من مكانه
مسافة سنتيمتر واحد . ولن يتحرك حصانى من المكان الذى
بدأ يرقص فيه . . أمرعى » .

بعد عشر دقائق ، كان حصان المستر سليرى وعربته

جاهزين • فركب بيتزر وتوم هذه العربة ، والكلب ينبح حولها • فأشار المستر سليرى للكلب بعينه لكى يجعل بيتزر هدفه الخاص • وسرعان ما انطلقت العربة بعد أن خيم الظلام بدياجيره • فبدءوا رحلتهم ، وثبت الكلب عينه على بيتزر ، وقبع الى جانب العجلة التى بجانب هذا الشاب • كان ذلك الحيوان الماهر المدرب ، على استعداد للهجوم على بيتزر ان بدرت من هذا الأخير أية بادرة تنبىء عن محاولته النزول من العربة •

جلست سيسى ولويزا مع المستر جرادجرايند فى الفندق الذى نزلوا به فى تلك البلدة ، وظلوا فيه طول الليل • وفى الساعة الخامسة من الصباح التالى ، ظهر المستر سليرى وكلبه ، مرة ثانية ، مبتهجين •

فقال المستر سليرى : « كل شىء على خير ما يرام ، يا مستر جرادجرايند • لا بد أن يكون ابنك على ظهر السفينة الآن • أخذه موظفى المستر تشايلدرز Childers الى السفينة بعد ساعة ونصف من مغادرتنا هذا المكان فى الليلة الماضية • • طفق الحصان يرقص حتى كاد يموت • فلما قلت له الكلمة ، نام • وعندما حاول ذلك الشاب بيتزر النزول من العربة ، تعلق الكلب بياقة سترته • فذعر بيتزر وانتفض ، واضطر الى البقاء حيث هو ، الى أن أدت رأس الحصان ، ورجعنا الى هنا فى هذا الصباح » •

شكره المُستَر جرادجرايند ، من كل قلبه ، وعرض عليه أن يعطيه مكافأة مالية .

فقال المُستَر سليزى : « لا أريد أية نقود ، أنا نفسى ، يا مُستَر جرادجرايند ؛ ولكن المُستَر تشايلدرز ذو أسرة ، فان أعطيته ورقة مالية بخمسة جنيهات ، رحب بها وفرح . كذلك ان رغبت فى شراء طوق للكلب ، ومجموعة أجراس للحصان ، فسأقبلها بسرور . وأنا يعجبنى أن أشرب الويسكى بالماء » .

قدم المُستَر جرادجرايند ، عن طيب خاطر ، كافة أمارات الشكر وعرفان الجميل هذه ، ولو أنه اعتقد أنها ضئيلة جدا بالنسبة الى تلك الخدمة الجليلة ، التى أداها له المُستَر سليزى وأتباعه .

فقال المُستَر سليزى : « اذن ، فأنا أطلب منك ، يا مُستَر جرادجرايند ، أن تتكلم بخير عن رجال السيرك ونسائه وحيواناته ، وبذا تقدم لنا خدمة ، أكثر مما نستحق . »

صحب المُستَر سليزى ، المُستَر جرادجرايند ، الى حجرة أخرى ليفضى اليه بحديث سرى عن والد سيسى . فأخبره بأنه يعتقد أن والد سيسى قد مات ، لأن كلبه العجوز ، رجع متعبا من وعشاء السفر ، ومريضا ، ثم

ما لبث أن مات . وفى اعتقاده ، أن الكلب جاء من مسافة بعيدة ليعرفهم بأن صاحبه فارق الدنيا .

قال المستر سليرى : « يا مستر جرادجرايند قررنا ألا نكتب الى سيسى ، وألا نخبرها بهذا . فنحن لا نعرف بصفة قاطعة ما اذا كان أبوها قد تحسر فى وحدته لأنه تركها ولم يأخذها معه . الواقع أننا لا نعرف ذلك ، ولن نعرفه . ولكن الأرجح ، أنه مات .

نظر المستر سليرى الى قاع قدح الويسكى ، وقال : « يبدو أنه يمثل شيئين للمرء ، أليس كذلك ؟ الأول : أن هناك محبة متبادلة ، فى العالم ، ليست كلها منفعة شخصية . والثانى : أن لكل انسان طريقته الخاصة فى الحساب أو عدم الحساب . »

شرب المستر سليرى كل ما فى قدحه من الويسكى ، وطلب من السيدتين أن تدخلا .

لما دخلت سيسى ولويزا ، ودع المستر سليرى الجميع . وآخر ملاحظة أبدتها للمستر جرادجرايند هى : « صافحنى ، يا سيدى ! ولا تשמئز منا ، نحن متجولى السيرك المساكين . فلا بد للناس من التسلية لا يمكنهم أن يتعلموا أو يعملوا باستمرار . فلم يخلقوا لذلك . لابد لكم منا ، يا سيدى ! فأنتم بحاجة الينا . »



• شرب المستر سليري ما في قدحه من الويسكى

الباب الثامن

الخاتمة

غضب المستر باوندرباي ، غضبا شديدا ، من مسز سيارسيت ، من جراء اكتشافها مسز بجلر . فلما ذهب الى حجرة المائدة ليتناول طعام الغداء ، وجد مسز سيارسيت جالسة الى جانب الوطيس . فتظاهرت بأنها حزينة جدا .

فسألها المستر باوندرباي ، بطريقة مقتضبة جدا وبهلجة فى غاية الفظاظة ، بقوله : « ما الخطب الآن ، يا مدام ؟ »

قالت : « أرجوك ، يا سيدى ألا تقضم أنفى ؟ »
فقال مكررا قولها : « أقضم أنفك ؟ أنفك ؟ » يقصد أن أنفها طويل جدا ، فلا يمكن قضمه .

قالت : « يا سيدى المستر باوندرباي ! هل ضايقت أى شىء ، فى هذا الصباح ؟ »

قال : « نعم ، يا مدام » .
قالت : « هل لى أن أسأل ، يا سيدى ، عما اذا كنت أنا السبب اللعين فى خروجك هذا عن طورك ؟ »

قال : « سأخبرك ، الآن . ما أغضبني ، يا مدام ، وهو أن تلعب بي امرأة . لن أسمح لأية امرأة بأن تضايق وترزعج رجلا في مركزي . لن أتساهل في هذا الأمر .

رفعت مسز سيارسيت حاجبيها ، وقالت : « يتضح ، يا سيدي ، أنني أقف في طريقك الآن . سأذهب الى حجرتي » .

فقال المستر باوندرباي ، بلهجة جافة : « اسمحي لي بأن أفتح لك الباب ، يا مدام » .

قالت : « شكرا ، يا سيدي ! بوسعي أن أفتحه لنفسي » .

قال : « من الخير أن تسمحى لي ، يا مدام ، بأن انتهر هذه الفرصة ، فأقول لك كلمة قبل أن تنصرفي . لا أظن ، يا مسز سيارسيت ، يا مدام ، أن لك مكانا في بيتي . لا يحق لامرأة ، في مثل رجاحة عقلك ونبوغك ، أن تتدخل في شئون غيرها » .

نظرت مسز سيارسيت الى المستر باوندرباي ، نظرة غضب شديد ، وقالت في أدب : « أهذا حقيقي ، يا سيدي ؟ »

قال : « كنت أفكر في هذا الأمر . أشعر بأن بيتنا آخر

يمكنه أن يضم سيدة بمثل قواك • مثل بيت قريبتك الليدى
سكادچرز Scadgers ألا تظنين أن بوسعك أن تجدى
عملا هناك ، يا مدام ، لتتدخلى فيه ؟ »

فقلت مسز سپارسيت : « لم يحدث هذا من قبل ،
اطلاقا ، يا سيدى • ولكن بما أنك تذكره الآن ، فينبغى
لى أن أعتبره محتملا جدا » •

فقال المستر باوندرباى ، وقد وضع مظروفا به شيك ،
فى سلة أدوات الخياطة الصغيرة ، الخاصة بها : « افرضى ،
أنتك تحاولين ، يا مدام » •

صمت المستر باوندرباى برهة ، ثم استطرد يقول :
« يمكنك اختيار الوقت الذى ترحلين فيه ، يا مدام •
ولكن ، ربما كان من الأوفق لسيدة فى مثل قواك العقلية ،
أن تأكل وجباتها بنفسها دون أن يزعجها أى انسان •

أقفل المستر باوندرباى الباب ، ووقف أمام الوطيس
يفكر فى المستقبل •



الى كم مستقبل ؟ هل يرى نفسه يقدم بيتزر الى
الأغراب ، على أنه شاب يرتقى ؟ هل يرى نفسه يكتب وصيته
الأخيرة السخيفة والمعقدة ؟ هل عرف أنه سيموت بعد خمس

سنوات بالسكته القلبية فى أحد شوارع كوكتاون ؟ نعم ،
كل هذا سيحدث .

وها هو المستر جرادجرايند ، فى نفس اليوم ، وفى
نفس الساعة ، جالس فى حجرته يفكر : كم من مستقبل
رأى ؟ هل رأى نفسه رجلا عجوزا ضعيفا ، أشيب الشعر ،
ما عاد عضوا هاما فى البرلمان فى لندن ؟

سيترك هذا الرجل نظرياته الصعبة ، ويصير أكثر
لينا . ستضيع حقائقه وأرقامه ، فى الايمان والأمل والمحبة .

وها هى لويزا ، فى ليلة ذلك اليوم نفسه ، تلاحظ
النار فى الوطيس ، كما اعتادت أن تلاحظها منذ سنوات
طوال ، فى أيام طفولتها . الا أن وجهها صار أكثر رقة ،
ولم تعد متكبرة مثلما كانت . يمكنها أن ترى الملصقات
الآن ، موقعا عليها باسم والدها ، تعلن براءة ستيفن
بلاكبول النساج ، وادانة ابنه ، هو نفسه ، أخيها .
استطاعت لويزا أن ترى هذه الأشياء بوضوح . ولكن ، كم
من مستقبل ؟

مرضت عاملة ، اسمها راشيل ، لمدة طويلة ولكنها ،
حلوة الطباع وهادئة ومرحة ، وهى وحدها التى تعطف
بعد ذلك ، انضمت الى عاملات كوكتاون . انها امرأة ذات
جمال مفكر . كانت ترتدى ثياب الحداد باستمرار ، ولكنها

حلوة الطباع وهادئة ومرحة ، وهى وحدها التى تعطف على سيدة فقيرة عجوز ، هى زوجة ستيفن بلاكيول ، التى تظهر من آن الى آخر ، وقد عبت الكثير من الخمر . فهل رأت لويزا ذلك ؟ لابد من حدوث أمثال هذه الأمور .

صارت راشيل نفسها زوجة ، وأم أطفال ترعى أولادها بمحبة . فهل رأت لويزا ذلك أيضا ؟ لن يكون لها مثل ذلك الشيء .

ولكن أطفال سيسى السعيدة ، السعداء يحبون أمهم حبا جما ويحبون لويزا ، التى تحب طبيعة الأطفال وتتفهمهم وتساعدهم على أن يشبوا ، ليس كالألات ، وانما كمخلوقات بشرية مفكرة . . هل رأت لويزا أمثال هذه الأشياء ؟ ستحدث أمثال هذه الأشياء .



محتويات الكتاب

صفحة

- ٥ - كلمة المترجم
- ٧ - الجزء الأول - الغرس
- ٧ - الباب الأول - الشيء الوحيد المطلوب
- ٩ - الباب الثاني - قتل الأبرياء
- ١٦ - الباب الثالث - مخرج
- ٢١ - الباب الرابع - المستر باوندرباي
- ٢٨ - الباب الخامس - كوكتاون
- ٣١ - الباب السادس - فنون سليري بالخيول
- ٣٦ - الباب السابع - مسز سيارسيت
- ٤١ - الباب الثامن - لا تتعجب اطلاقا
- ٤٣ - الباب التاسع - تقدم سيسى
- ٤٦ - الباب العاشر - ستيفن بلاكبول
- ٤٩ - الباب الحادي عشر - لا طريق للخروج
- ٥٣ - الباب الثاني عشر - المرأة العجوز
- ٥٥ - الباب الثالث عشر - راشيل
- ٦٣ - الباب الرابع عشر - الصانع العظيم

صفحة

- ٦٧ . . . الباب الخامس عشر - الأب وابنته .
- ٧٣ . . . الباب السادس عشر - الزوج والزوجة .
- ٧٦ الجزء الثانى - المحصول .
- ٧٦ الباب الأول - أعمال المصرف .
- ٨٣ . . . الباب الثانى - المستر جيمس هارتهوس .
- ٨٦ الباب الثالث - الكلب الصغير .
- ٩٢ الباب الرابع - رجال وأخوة .
- ٩٥ الباب الخامس - الرجال والرؤساء .
- ٩٩ الباب السادس - الرحيل .
- ١٠٨ الباب السابع - البارود .
- ١١٤ الباب الثامن - الانفجار .
- ١٢١ الباب التاسع - سماعها لآخر مرة .
- ١٢٤ الباب العاشر - سلم مسز سيارسيت .
- ١٢٦ الباب الحادى عشر - الى أسفل والى أسفل .
- ١٣٢ الباب الثانى عشر - الى أسفل .
- ١٣٥ الجزء الثالث - الحصاد .
- ١٣٥ الباب الأول - شىء ضرورى آخر .
- ١٤١ الباب الثانى - قرار حاسم .
- ١٤٧ الباب الثالث - المفقود .

صفحة

١٥١	•	•	•	•	الباب الرابع - عثر عليه
١٥٦	•	•	•	•	الباب الخامس - ضوء النجم
١٦١	•	•	•	•	الباب السادس - مطاردة الكلب
١٦٦	•	•	•	•	الباب السابع - فلسفة
١٧٢	•	•	•	•	الباب الثامن - الخاتمة

(يسعدنى أن أقدم للقارىء العزيز كتابى هذا ورقمه

١٣٨ ولا يسعنى الا تقديم الشكر لله العلى القدير)

منتدى سور الأزر بكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

رقم الايداع ٢٠٠٤ / ١٩٩٣